ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ ـ مواجهة خاصة ..

انطلقت كرة من كرات التنس ، من جهاز إليكترونى خاص ، وعبرت الملعب الكبير ، بسرعة تتجاوز السرعات الطبيعية المعتادة ، فى مثل هذه المباريات ، وفى اتجاه بعيد عن الرجل ، الذى يقف بزيه الرياضى ، فى الطرف الآخر للملعب ، ولكن الرجل تحرّك بسرعة مدهشة ، فور انطلاق الكرة ، وقطع الملعب كله بوثبتين بارعتين ، قبل أن يقفز كالفهد ، ويستقبل الكرة بمضربه ، ليعيدها إلى نصف الملعب الآخر بضربة قوية ماهرة ، ضربت الأرض عند زاوية الملعب البعيدة ، قبل أن تتجاوزه إلى لوح إليكترونى ، سجّل اللعبة ، ثم انبعث منه صوت آلى هادئ ، يقول :

ـ المستوى التاسع تم اجتيازه بنجاح ، فى

برنامج التدريب على لعبة التنس .. هل ترغب فى الانتقال إلى المستوى العاشر ، أم الدخول فى المستويات فوق المتقدِّمة ؟

كان الرجل يرغب فى الاستمرار فعليًا فى برنامج التدريب ؛ لتنشيط جسده ، وتنمية قدراته على الاستجابة والتفاعل ، إلا أن ساعته الخاصة راحت تتألَّق فى تلك اللحظة ، فألقى نظرة سريعة عليها ، قبل أن يجيب :

ـ كلاً ، فلنؤجِّل هذا لما بعد .

ثم ضغط زر ساعته ، قائلاً :

ـ ماذا هناك ؟!

أتاه صوت أحد رجال أمن رياسة الجمهورية ، قائلاً :

ـ مكالمة عاجلة يا سيِّدى .. الدكتور (رمزى) يطلب التحدُّث إليك فورًا .

انعقد حاجبا الرجل ، وهو يغمغم :

ـ الدكتور (رمزى) .. عضو فريق (نور) .. سأتحدَّث إليه فورًا بالتأكيد .

ولم يكد يسمع صوت (رمزى) ، ويرى وجهه على الشاشة الصغيرة لساعته ، حتى ابتسم قائلاً :

ـ أهلاً يا دكتور (رمزى) .. كيف حالك ؟ تصوَّر أننى كنت سأجرى اتصالاً بكم لتهنئتكم على عفو السيِّد رئيس الجمهورية ، و ...

قاطعه (رمزى) فى توتر ملحوظ :

ـ هناك مشكلة يا سيِّد (أمجد) .. مشكلة كبيرة .

انعقد حاجبا (أمجد صبحى) المستشار الأمنى لرئيس الجمهورية ، وهو يسأله فى قلق حذر :

ـ وما نوع تلك المشكلة يا دكتور (رمزى) ؟!

أجابه (رمزى) بعصبية شديدة :

- مشكلة لا يمكن التحدُث عنها ، عبر وسائل الاتصال التقليدية يا سيِّد (أمجد) .. إنها تحتاج إلى لقاء مباشر .

سأله (أمجد) فى حزم :

- أين أنت الآن ؟!

أجابه فى سرعة :

- فى منزلى .

قال (أمجد صبحى) بلهجة حازمة حاسمة :

- انتظرنى .. سأصل بأقصى سرعة ممكنة .

أنهى (رمزى) الاتصال ، وهو يشعر بانفعال جارف ، يسرى فى كل خلية من خلاياه ، ويجرى فى عروقه مجرى الدم ..

لقد كان يدرك أن الأمر بالفعل خطير ..

وإلى أقصى حد ..

فهو يتعلّق بمصير رفاقه ..

و (مصر) ..

والعالم كله ..

على الرغم من أنه لا يعرف كافة التفاصيل ..

فالأمر كله بدأ بعاصفة ..

عاصفة عاتية ، اقتلعت فريق البحث العلمى ، والقوات العسكرية المصاحبة له ، فى أثناء اختبار (المسبار الموجى الجديد) (مم ـ ١) ، فى منطقة لم تمتدّ لها يد بشرى من قبل ، فى صحراء (مصر) الغربية ..

وبمبادرة مدهشة ، قرّر وزير الدفاع الاستعانة بنصف فريق (نور) ، لكشف سر تلك العاصفة ..

وكانت مهمة خاصة ..

خاصة جدًا ..

وتوالت فيها المفاجآت بلا انقطاع ..

الفحص أثبت أن تلك العاصفة الرملية كانت عبارة عن عمالقة من الرمال الحية ، يهاجمون الكل بغضب هادر ، ومقت شديد ، وقوة بلا حدود ..

وكان قرار وزير الدفاع ، أن يتمّ إجراء اختبار مباشر ..

وإلى نفس البقعة ، طار (نور) و(سلوى) و(نشوى) ، ومعهم فريق عسكرى خاص ، بالإضافة إلى المدرَّعة (صلب) ، أقوى مدرَّعة اخترعتها العقول العسكرية المصرية ..

ولكن وزير الدفاع نفسه لم يكن شخصًا عاديًا ..

لقد كان مخلوقًا آخر ..

وفى عالم آخر ..

وهبَّت العاصفة مرة ثانية ..

وفى هذه المرة ، اختفى (نور) وزوجته وابنته ..

واختفت المدرَّعة (صلب) ..

وتمادى الوزير كثيرًا ، وهو يعتقل (أكرم) ، ومستشاره العلمى الدكتور (كريم) ، ثم يواجه رئيس الجمهورية ، والقائد الأعلى للمخابرات العلمية ..

وعندما تعقَّدت الأمور ، كشف الوزير وجهه الحقيقى ..

وجه القائد (كونار) ، من ذلك العالم الآخر ، الذى يسعى لفتح فجوة بين عالمين .. عالم الأرض .. وعالم (كونار) ..

وبمواجهة صريحة عنيفة ، سيطر (كونار) على الكل ، وقلَّصهم إلى حجم أقرب إلى حجم الجرائيم ، ليحتفظ بهم جميعًا داخل كرة صغيرة ..

ثم انتحل هيئة رئيس الجمهورية ..

وفى مبادرة خاصة ، وباتفاق بين (رمزى) والدكتور (جلال) ، رئيس قسم الأبحاث ، الملحق بالمخابرات العلمية المصرية ، تم إسناد المهمة للرائد (أيمن) ، الذى تحوّل ، بعد تعديل تكنولوجى خاص ، إلى سلاح سرى شبه آلى ، قادر على التصدّى لجيش كامل بمفرده ..

ولكن الرائد (أيمن) خسر معركته ..

وانتصر (كونار) ..

ورأت (مشيرة) ما حدث ..

وأدركت أن (مصر) فى خطر ..

بل العالم كله فى خطر ..

المشكلة الفعلية هى أن كل أصحاب القرار أصبحوا فى قبضة (كونار) ..

القائد الأعلى ..

وزير الدفاع ..

وحتى رئيس الجمهورية ..

والوقت يمضى بسرعة مخيفة ..

مخيفة للغاية ..

ولهذا لم يكن أمام (رمزى) سوى وسيلة واحدة ..

وأمل واحد ، بعد الله (سبحانه وتعالى) ..

المستشار الأمنى لرئيس الجمهورية ..

رجل المخابرات السابق (أمجد صبحى) ، الذى شاركهم من قبل مغامرة عنيفة ، أبلى فيها بلاءً حسنًا ، يتناسب مع سيرته السابقة ، وتاريخه المشرّف(*) ..

(*) راجع قصة (الغزاة) .. المغامرة رقم (١٢٤)

وفى الوقت ذاته ، كان (كونار) ، فى هيئة رئيس الجمهورية ، يتابع الحفارات العملاقة ، التى تسعى لبلوغ المدرَّعة (صلب) ، فى قلب رمال الصحراء ، بعد أن مضى وقت طويل ، يكفى لاستهلاك كل الأكسجين داخلها ..

ولمقتل (نور) وزوجته وابنته ، ومن معهم ..

ولكن الحفارات العملاقة نجحت فى انتشال المدرَّعة (صلب) بالفعل ..

وعندما تم فتحها ، كانت بداخلها مفاجأة .. مفاجأة مذهلة(*)..

★ ★ ★

لم تكن نصف الساعة قد مضت بعد ، عندما ارتفع رنين جرس باب منزل (رمزى) ، الذى أسرع يفتح الباب فى سرعة ، وهو يهتف :

(★) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزأين ، الأوَّل والثانى .. (العاصفة) و (الرمال الحية) .

- حمدًا لله .. إننى أنتظرك بفارغ الصبر يا سيِّد أو ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدِّق فى وجه الضابط الصارم ، الذى ارتطم به بصره عند باب منزله ، وهو يقول :

- دكتور (رمزى) لدى أمر مباشر بتفتيش منزلك .

حدَّق (رمزى) فى وجهه لحظة بذهول مذعور ، قبل أن يزدرد لعابه فى صعوبة ، قائلاً :

- تفتيش منزلى ؟! ولماذا ؟!

أجابه بنفس الصرامة :

- إننا نبحث عن السيِّدة (مشيرة محفوظ) .

هتف (رمزى) فى هلع :

- هنا ؟!

دفع الضابط باب المنزل فى خشونة ، وهو يجيب :

ـ نعم .. هنا يا دكتور (رمزى) .. إننا نحاصر منزلها وجريدتها ، ولكن الأوامر أن نفتش منازل زملائها وأصدقائها أيضًا .

خفق قلب (رمزى) فى عنف ، وهو يتخيَّل الضابط ورجاله ، ينقضون على (مشيرةَ) النائمة ، وينتزعونها من فراشها فى عنف ، و ...

« ماذا هناك ؟! »

انبعث الصوت فجأة ، فى صرامة حازمة ، على نحو جعل الضابط يلتفت إلى صاحبه فى سرعة ، ثم يعتدل ، ويشدّ قامته ، فور تعرُّفه صاحبه ، ويرفع يده بالتحية العسكرية فى احترام ، قائلاً :

ـ معذرة يا سيِّد (أمجد) .. إنها أوامر السيِّد رئيس الجمهورية .

شدَّ (أمجد) قامته بدوره ، وهو يقول :

ـ أعلم هذا .

ثم أشار بيده ، مستطردًا فى صرامة :

ـ لقد عثرت على السيِّدة (مشيرة) ، وهى الآن فى مكان آمن .

هتف الضابط فى ارتياح :

ـ حقًّا ؟!

وعاد يؤدى التحية العسكرية ، مستطردًا :

ـ شكرًا يا سيِّدى .. سأبلغ رؤسائى هذا .

أومأ (أمجد) برأسه ، قائلاً :

ـ بالتأكيد .

ثم دلف إلى منزل (رمزى) ، وأغلق بابه خلفه ، مضيفًا :

- وأبلغهم تحياتى أيضًا .

تعالى وقع أقدام الضابط وجنوده ، وهم ينصرفون عن المكان ، فاستدار (رمزى) إلى (أمجد) ، وقال فى شحوب عصبى :

- (مشيرة) هنا .

ابتسم (أمجد) ، قائلاً :

- لقد خمنت هذا .

ثم عقد ساعديه أمام صدره ، متسائلاً فى اهتمام شديد :

- والآن .. ما المشكلة التى تحدثت عنها .

بدا الانفعال واضحًا ، فى ملامح (رمزى) وصوته ، وهو يميل نحوه ، قائلاً بكلمات مرتجفة :

- الرئيس ، ووزير الدفاع ، والقائد الأعلى للمخابرات العلمية ، فى خطر شديد .

انعقد حاجبا (أمجد) فى شدة ، وهو يشير بيده ، قائلاً :

- مهلاً يا دكتور (رمزى) .. التقط أنفاسك ، وتمالك أعصابك ، وقصّ على الأمر بكل تفاصيله .. هيا .

جلس (رمزى) على أقرب مقعد إليه ، والتقط أنفاسه بالفعل ، وحاول أن يسيطر على أعصابه ، وهو يقول :

- سأخبرك .. سأخبرك بكل شىء ، يا سيِّد (أمجد) .

وطوال ربع ساعة كاملة ، لم ينبس (أمجد صبحى) بحرف واحد ، وهو يستمع إليه بكل حواسه ، حتى انتهى (رمزى) من روايته ، وهتف بكل انفعاله :

- (مصر) فى خطر يا سيدّ (أمجد) .. بل العالم كله فى خطر ، وكل أصحاب القرار واقعون فى قبضة ذلك الشىء ، الذى عجز أقوى سلاح سرى فى (مصر) عن قهره .. والوقت يمضى بسرعة .. بسرعة مخيفة .

التقى حاجبا (أمجد) فى شدة ، وهو يدرس كل حرف نطق به (رمزى) ، ثم راح يتحرك فى المكان فى صمت ، وقد بدت على وجهه إمارات التفكير العميق ، قبل أن يلتفت إلى (رمزى) فجأة ، قائلاً :

- أول درس تعلمناه فى عالمى ، قبل حتى أن ألتحق بالمخابرات العامة ، كان ضرورة دراسة أرض العدو ، قبل الانقضاض عليه فيها ، مادمت غير قادر على جذبه إلى أرضك أنت ، أو أى أرض تحفظها كظهر يدك .

سأله (رمزى) فى حيرة :

- وما الذى يعنيه هذا ؟!

شدّ (أمجد) قامته مرة أخرى ، وهو يقول فى حزم :

- يعنى أن الأمر يحتاج أولاً إلى مواجهة .

وتسللت ابتسامة ساخرة إلى شفتيه ، وهو يضيف :

- مواجهة مباشرة .. وصريحة .

ولم يدر (رمزى) ما الذى يشير إليه (أمجد) .. لم يدر بالتحديد ..

* * *

اشتعلت عينا (كونار) بمزيج مخيف ، من الدهشة والغضب والاستنكار ، وهو يحدّق فى شاشة الرصد ، التى تنقل إليه صورة المدرّعة (صلب) ، وقد خلت تمامًا من البشر ..

أى بشر ..

وبكل غضب وسخط الدنيا ، هتف :

- مستحيل ! لا يمكن أن يذهبوا خارجها !! مستحيل !! قال رئيس فريق الحفر عن موضع البحث ، فى المنطقة (ص) ، فى توتر مماثل ، ودهشة بلا حدود :

- المدرَّعة كانت مغلقة بإحكام ، ثم إنها كانت تحت أطنان من الرمال ، ومن المستحيل أن يغادرها أحد ، إلا إذا ..

بتر عبارته عند هذه النقطة ، فصاح فيه (كونار) فى ثورة :

- إلا إذا ماذا ؟!

أجابه الرجل فى سرعة :

- إلا إذا كانوا قد غادروها ، قبل أن تغوص فى الرمال .

صرخ (كونار) :

- هذا أيضًا مستحيل !

ثم تراجع ، مستطردًا فى عصبية :

- لقد شاهدت العاصفة بنفسى .

ألقى جسده فوق أقرب مقعد ، وراح يحدِّق فى الشاشة بذهول ، وهو يسترجع ذلك المشهد ، الذى نقلته أجهزة الرصد عندما هبَّت العاصفة الأخيرة ..

عمالقة الرمال برزوا مرة أخرى ..

وانقضوا على كل شىء ..

الحوامات ..

والجنود ..

والمدرَّعة ..

ولثوان ، اختفى كل شىء عن شاشات الرصد ..

الرمال كست المكان كله فى كثافة عجيبة ..

ثم تلاشت بغتة ..

وعندما تلاشت ، كان كل شىء قد اختفى ..

كل شىء ..

ومن المستحيل أن يكون (نور) ومن معه قد وجدوا الفرصة للخروج من المدرَّعة !

وهم ليسوا بالجنون ليفعلوا ، فى مواجهة عاصفة رهيبة كهذه ..

مستحيل !

مستحيل !

أين ذهبوا إذن ؟!

أين ؟!

كان أكثر ما يثير غضبه ليس اختفاءهم ، وإنما تلك التكنولوجيا شديدة التقدُّم ، فى ذلك الـ (ميجالون) ، والتى لم يكن يتوقَّعها قط ..

والساعات التى تمضى فى سرعة مخيفة ..

أربع ساعات ونصف فحسب تبقَّت ، على لحظة التماس العظمى ..

وقوات عالمه كلها تنتظر تلك اللحظة بفارغ الصبر ..

والإمبراطور يتوقَّع منه النجاح ..

والانتصار ..

وهو لن يقبل بغير هذا ..

أبدًا ..

سرت الفكرة فى كيانه ، وجرت فى عروقه ..

لو أن له عروقًا ..

ثم هبَّ من مقعده ، وقال فى صرامة :

ـ فليذهب (نور) ورفاقه إلى الجحيم .. المهم أن يصل قومى إلى هذا العالم بنجاح ..

وانعقد حاجباه على نحو مخيف ، وهو يضيف :

ـ مهما كان الثمن .

وبمنتهى الحسم والحزم ، نهض إلى جهاز الاتصال ، وضغط أزراره ، وهو يقول فى قوة :

ـ سنبحث سر اختفاء الجميع فيما بعد .. أبعدوا المدرَّعة الآن عن المكان ، ثم واصلوا الحفر حول تلك الكرة المعدنية ، حتى نخرجها من مكانها .

أجابه رئيس فريق الحفر ، بصوت يحمل رنة دهشة واضحة :

ـ لقد أزلنا معظم الرمال من حولها ، ولكنها ما زالت تستقر على قاعدتها ، على الرغم من أن هذا يخالف كل قواعد التوازن ، التى تعلمناها فى حياتنا .

زمجر (كونار) ، قائلاً :

ـ دعك مما تعلمته يا رجل ، فنحن أمام ظاهرة جديدة .

غمغم الرجل ، عبر جهاز الاتصال :

ـ بالتأكيد .

مال (كونار) إلى الأمام ، يراقب الشاشة فى اهتمام ، والحفارات العملاقة تزيل الرمال ، من حول الـ (ميجالون) ، و ...

« كيف حالك يا سيادة الرئيس ؟! »

اخترقت العبارة أذن (كونار) ، على نحو مباغت ، وهو مستغرق بكيانه كله ، فى متابعة عمليات الحفر ، فانتفض جسده فى عنف ، واستدار إلى مصدر الصوت ، هاتفًا فى غضب :

ـ من جرؤ على اقتحام خلوتى .

أتاه صوت (أمجد) ، وهو يقول فى هدوء :

ـ إنه أنا ؟!

أتاه صوت (أمجد) ، وهو يقول فى هدوء :

- إنه أنا ؟!

انعقد حاجبا (كونار) فى شدة ، وهو يحدجه بنظرة كاللهب ، فى حين لوَّح (أمجد) بيده ، متابعًا بنفس الهدوء :

- طاقم الحراسة لم يحاول منعى بالطبع ، باعتبارى مستشارك الأمنى الخاص .

تألقت عينا (كونار) على نحو واضح ، وهو يقول :

- آه .. بالطبع .

ثم أشاح بوجهه ، ليراقب شاشة الرصد ، قائلاً فى توتر :

- وما الذى تريده الآن ، يا مستشارى الأمنى الخاص ؟!

كانت عينا (أمجد) تفحصان كل شىء فى سرعة وخبرة ، وهو يجيب :

- أردت استشارتك فى أمر عملية (المخاطر) ..

لقد بلغ الأمر مرحلة حرجة ، فهل نواصل العملية ، أم نتوقَّف الآن ؟!

انعقد حاجبا (كونار) مرة أخرى ، وهو يقول :

- وما فائدتك إذن ، أيها المستشار الأمنى الخاص ، لو أنك ستستشيرنى فى كل خطوة .

قال (أمجد) فى هدوء :

- عملية (المخاطر) لها وضع خاص ، ولقد طلبت منى إبلاغك بالنتائج والتطورات الخاصة بها ، أولاً فأولاً .

قال (كونار) فى حدة :

- انس ما طلبته منك سابقًا ، ومنذ هذه اللحظة ، سيكون عليك أن تتولَّى كل الأمور بنفسك ، ودون الرجوع إلىَّ ، وحتى صدور أوامر أخرى .. هل تفهم ؟!

ارتسمت ابتسامة هادئة على شفتى (أمجد) ، وهو يقول :

- بالتأكيد يا سيادة الرئيس .. بالتأكيد .

ومرة أخرى ، جابت عيناه الحجرة كلها ، قبل أن يضيف :

- سأتولَّى كل الأمور بنفسى ، ودون الرجوع إلى أحد .

قالها ، ودار على عقبيه ، مغادرًا الحجرة بنفس الخطوات الهادئة ، دون أن يسمع صوت (أكرم) ، الذى راح يدقّ جدار الكرة الشفافة الملصقة بالجدار بقبضتيه ، وهو يصرخ :

- لا تتصرف يا سيِّد (أمجد) .. لا تتصرف .. إنه ليس الرئيس .

أمسك رئيس الجمهورية يده ، قائلاً فى حزم :

- إنه يعلم هذا .

استدار إليه (أكرم) ، قائلاً فى حدة :

- وكيف يمكنك أن تجزم ؟!

أشار رئيس الجمهورية بيده ، مجيبًا :

- (أمجد) لم يأت إلى هنا ، لمناقشة الرئيس فى أمر عملية ما ، وإنما أتى للتيقن من أمر ما .

سأله وزير الدفاع فى اهتمام :

- أى أمر ؟!

أجابه القائد الأعلى للمخابرات العلمية فى حزم :

- أظنه جاء للتيقن مما إذا كان هذا الشخص هو رئيس الجمهورية أم لا .

قال رئيس الجمهورية فى حسم :

- ولقد أيقن أنه ليس الرئيس .

قال (أكرم) فى مرارة عصبية :

- ومن أدراك ؟! لقد التقى برجل هو نسخة طبق الأصل منك .. فى هيئته وصوته وأسلوبه .

هزَّ الرئيس رأسه ، قائلاً :

- (أمجد) ليس غبيًا ، وهو ليس مستشارى الأمنى فحسب ، وإنما أقرب صديق لى ، وهو يعلم أننى لم ولن أعامله قط بهذا الأسلوب الجاف .

قال (أكرم) :

- ربما يجد مبررًا لهذا ، مع توتر الموقف .

هزَّ الرئيس رأسه نفيًا مرة أخرى ، وهو يقول :

- مستحيل ! لقد غادر المكان موقنًا من أن هذا الرجل ليس رئيس الجمهورية .

مطَّ (أكرم) شفتيه ، متسائلاً فى عصبية :

- وكيف توقن بهذا ؟!

التقط الرئيس نفسًا عميقًا ، قبل أن يجيب :

- لأنه لا توجد أية عملية ، سابقة أو حالية ، تعرف باسم عملية (المخاطر) .

اتسعت عينا (أكرم) ، واستدار يلقى نظرة ، عبر الجدار الشفاف السميك ، على (كونار) ، الذى يراقب شاشة الرصد ، فى اهتمام وتوتر بالغين ..

وخفق قلبه بمنتهى العنف ..

فمع ظهور (أمجد صبحى) على الساحة ، وتيقنه من أن هذا ، الذى يجلس فى حجرة وزير الدفاع ، ليس رئيس الجمهورية الحقيقى ، ستتغيَّر الأمور حتمًا ..

ستتغيَّر كثيرًا ..
جدًّا ..

* * *

٢ ـ الوسيلة ..

« إنه ليس الرئيس حتمًا .. »

نطق (أمجد صبحى) العبارة فى حزم متوتر ، داخل منزل (رمزى) ، الذى هتف فى انفعال جارف :

ـ الآن وقد أيقنت من هذا ، ما الذى يمكننا أن نفعله ؟!

تلاحقت أنفاس (مشيرة) ، وهى تتطلع فى لهفة قلقة إلى (أمجد) ، الذى لاذ بالصمت والتفكير لدقيقتين كاملتين ، قبل أن يجيب :

ـ لا شىء .

اتسعت عيناها فى ارتياع ، فى حين هتف (رمزى) مكررًا فى استنكار :

- لا شىء ؟! ماذا تعنى بقولك هذا يا سيِّد (أمجد) ؟!

أجابه (أمجد) فى هدوء عجيب ، لم يتناسب قط مع الموقف :

- هذا ما توحى به ملابسات الموقف كله ، فنحن نواجه خصمًا فوق العادة ، من عالم آخر كما تقولان ، وكما يوحى الأمر ، وهو ينتحل هيئة رئيس الجمهورية ، بحيث أن أى هجوم عليه سيواجه بمنتهى القوة والعنف ، من رجال الحرس الجمهورى ، وطاقم حراسة وزارة الدفاع ، باعتباره محاولة انقلاب على الحكم الشرعى فى البلاد .

قالت (مشيرة) فى عصبية :

- ولا يمكننا أن نتركه يمضى فى طريقه أيضًا ، وإلا خسرنا عالمنا كله .

استدار إليها ، قائلاً فى حزم :

- ومن قال إننا سنفعل ؟!

بدأت الحيرة على وجه (رمزى) ، فى حين ألقت (مشيرة) نفسها على أقرب مقعد إليها ، وهى تقول فى دهشة :

- ماذا تعنى إذن ؟!

أشار بسبَّابته ، قائلاً :

- أعنى أنه من الناحية المنطقية والرسمية ، لايمكننا أن نفعل شيئًا لمواجهة الأمر ، ولكن لاينسى أحدكما أننى مازلت المستشار الأمنى الخاص لرئيس الجمهورية ، وهذا يعنى أن صلاحياتى تتجاوز مجرَّد تقديم الاستشارة فحسب .

سأله (رمزى) فى لهفة :

- وما الذى يمكنك أن تفعله ؟!

أجابه (أمجد) فى حزم :

- من الناحية غير الرسمية ، يمكننى أن أفعل الكثير .

ثم شدّ قامته ، واعتدل ، قائلاً بلهجة آمرة صارمة :

- فى البداية سنعيد الأمور إلى نصابها ، الذى كان منذ الأزل .. السيّدة (مشيرة) ستبقى فى المنزل ، لرعاية الصغيرين ، والدكتور (رمزى) سيخرج معى للعمل .

انعقد حاجبا (مشيرة) ، وكأنما لا يروق لها هذا المنطق ، إلا أنها لم تحاول الاعتراض ، خاصة وأن الكل يبحث عنها بالفعل ، ولن تجد مكانًا آمنًا أفضل من هذا ، فى حين تساءل (رمزى) فى اهتمام :

- أى عمل ؟!

أجابه (أمجد) فى حزم :

- العمل الذى تجيده يا رجل .. التحليل النفسى .

قال (رمزى) فى دهشة :

- وبم يفيد التحليل النفسى هنا ؟!

صمت (أمجد) بضع لحظات فى شرود ، قبل أن يبتسم ابتسامة باهتة ، قائلاً :

- أنا أنتمى إلى جيل عريق يا رجل .. جيل لم يألف التكنولوجيا فى زمنه ، واعتاد الاعتماد كلية على عقله وحواسه وعضلاته ، وأمثالنا لايمكنهم بسهولة تصديق قصة كهذه ، تنتمى كلها إلى الخوارق والعوالم الأخرى .

ثم تطلّع إلى (رمزى) مباشرة ، وهو يضيف فى حزم :

- ومهمتك أن تنتخب لى أفراد الفريق الجديد .

بدت دهشة عارمة على وجه (مشيرة) ، فى حين سأل (رمزى) فى حذر :

ـ أى فريق جديد ؟!

شدَّ (أمجد) قامته أكثر ، وهو يجيب :

ـ الفريق الذى يمكننى منحه ثقتى ، والقادر على المواجهة يا رجل .. المواجهة الحقيقية .. والحاسمة .

وبعدها لم يضف حرفًا آخر للتوضيح ..

أى حرف ..

* * *

بدا التوتر واضحًا جليًا ، فى صوت وملامح رئيس فريق الحفر ، وهو يقول ، عبر جهاز الاتصال الخاص :

ـ لقد أزحنا الرمال كلها تقريبًا ، من حول ذلك الجسم الكروى أيها الرئيس ، ولكن ..

سأله (كونار) فى عصبية :

ـ ولكن ماذا ؟!

أجابه فى توتر أكثر :

ـ ولكنه ما زال يقف بنفس وضعه الأوَّل ، على الرغم من أن قاعدته كلها ترتكز على ما لا يزيد على قبضة اليد من الرمال .

قال (كونار) فى صرامة متوترة :

ـ لا تجعل هذا يشغلك .. المهم أن تجد وسيلة لحمل ذلك الشىء من هنا ، ونقله إلى منطقة أخرى .. منطقة تبعد مائتى كيلومتر على الأقل .

صمت الرجل بضع لحظات مفكرًا ، قبل أن يقول :

ـ لا توجد سوى وسيلة واحدة .

سأله (كونار) :

ـ وما هى ؟!

أشار الرجل بسبَّابته إلى أعلى ، مجيبًا :

ـ الحوَّامات :

انعقد حاجبا (كونار) ، وهو يدرس هذه الوسيلة فى إمعان ..

الرجل على حق بالفعل ..

من المستحيل أن يلجئوا إلى أية وسيلة تكنولوجية ، لنقل ذلك الـ (ميجالون) ، وإلا أشعلوا كل أجهزته ووسائله الدفاعية الرهيبة ..

ولكن من المحتم نقله بعيدًا ، قبل منتصف الليل ..

قبل أن تحين لحظة التماس العظمى ..

ومع ثقل وزنه المحتمل ، لن تكون هناك وسيلة أفضل من الحوَّامات ..

شبكة من الصلب تحيط به ..

ثم تحملها الحوَّامات بعيدًا ..

بعيدًا بقدر المستطاع ..

بعيدًا عن نقطة التماس ..

العظمى ..

وبكل الحزم ، دقَّ (كونار) سطح منضدة الفحص بقبضته ، قائلاً :

ـ استخدم الحوَّامات .

بدا الارتياح على وجه الرجل ، وهو يقول :

ـ فورًا ياسيادة الرئيس .

تراجع (كونار) بمقعده ، وهو يراقب مايفعله الرجال هناك ، فى المنطقة (ص) ، وألقى نظرة على ساعته ، التى أشارت عقاربها إلى ثلاث ساعات ونصف الساعة ، قبل منتصف الليل ، ثم راح عقله ـ وعلى الرغم منه ـ يطير نحو تلك النقطة الغامضة ، التى لم يكشف لها تفسيرًا بعد ..

أين اختفى (نور) والآخرون ؟!

وكيف ؟!

كيف ؟!

كيف ؟!

وبقى السؤال حائرًا فى ذهنه طويلاً ..

بلا جواب ..

لذا فقد طرحه عن رأسه مرة أخرى ، وهو يراقب ما تنقله الشاشة فى اهتمام .. كان الـ (ميجالون) يقبع فى مكانه ساكنًا ، والرجال يحيطونه فى حذر بالغ ، بشبكة قوية من الصلب ..

وبقلق بلا حدود ، راقبهم (كونار) ، وغمغم فى توتر بالغ :

ـ تُرى هل ..

لم يستطع إكمال تساؤله ، من فرط اهتمامه

وانفعاله ، وهو يراقب الرجال ، الذين يغادرون الحفرة الهائلة ، بعد انتهائهم من إحاطة الـ (ميجالون) بشبكة الصلب ، ثم يشيرون للحوّامات ، التى ربطوا إليها الشبكة بحبال قوية ..

ثم بدأت الحوّامات ترتفع ..

وترتفع ..

وترتفع ..

واهتزّ الـ (ميجالون) ..

اهتزّ اهتزازة خفيفة ، ثم بدأ يرتفع عن الأرض ..

وانعقد حاجبا (كونار) أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

و ...

وفجأة ، اهتزَّت الحوَّامات برياح قوية ..

وصرخ (كونار) ، بكل انفعاله :

ـ لا !!!!!!!

ومع صرخته ، نهض العمالقة ..

عمالقة الرمال ..

وهبَّت العاصفة ..

عاصفة هائلة عاتية رهيبة ، انقضَّت على الحوَّامات والرجال بلا رحمة ..

أو هوادة ..

وانطلقت صرخات الرعب والفزع ، التى نقلتها شاشة الرصد لثوان معدودة ، إلى أذنى وعينى (كونار) ، الذى احتقن وجهه بشدة ..

ثم انتهى كل شىء ..

غاب وتلاشى ، تحت الرمال القوية الغزيرة ، التى ارتفعت عاليًا ، كحاجز رهيب كثيف مخيف ..

ثم انهالت دفعة واحدة على الحفرة ..

وراحت تغمرها بسرعة هائلة ..

ما أنجزته الحفارات العملاقة ، فى عدة ساعات ، أنهته العاصفة الرملية فى دقائق معدودة ..

ومحدودة ..

وعندما انتهت ، بعد تلك الدقائق القليلة ، كانت المنطقة (ص) قد عادت كما كانت منذ آلاف السنين ..

هادئة ..

صامتة ..

ساكنة ..

بكرًا ..

ولم يعد هناك أدنى أثر للرجال ..

أو الحوَّامات ..

أو الحفارات العملاقة ..

أو حتى الحفرة الهائلة ..

واحتقن وجه (كونار) أكثر وأكثر ، وهو يلوِّح بقبضته ، وقد اختنقت صرخة قوية فى حلقه وصدره ..

صرخة هزيمة ..

واندحار ..

وغضب ..

وثورة ..

وبنظرة سريعة على ساعته ، اختنقت كل انفعالاته فى أعماقه ..

ثلاث ساعات وربع الساعة تبقَّت ، على اللحظة المنشودة ..

لحظة التماس العظمى ..

وذلك الشىء أصبح مدفونًا مرة أخرى ، تحت ثلاثين مترًا فى الرمال ، يواصل بث ذبذباته فوق الطبيعة ، التى تمنع وصول قومه إلى هذا العالم ، و ....

ولكن مهلاً ..

الـ (ميجالون) يطلق ذبذبات ..

مجرَّد ذبذبات ..

ومهما بلغت تلك الذبذبات من النوع والقوة ، فستظل مجرَّد ذبذبات ..

تردُّدات صوتية ، يمكن رصدها ..

ومواجهتها ..

وبانفعال شديد ، قفز إلى جهاز الاتصال الداخلى ، وضغط زره ، قائلاً :

ـ أريد أفضل خبير اتصالات وصوتيات لدينا .. فورًا .

فقد نبتت فى ذهنه فكرة ، لم يدر كيف لم تخطر بباله من قبل ..

فكرة مدهشة فعَّالة ، قادرة على إيقاف عمل الـ (ميجالون) ، عندما تحين لحظة التماس العظمى ..

أو على الأقل ، قادرة على إفساد مفعوله المضاد ..

وهذا يعنى أنه - وعلى الرغم من كل ما حدث - سينتصر فى النهاية ..

وسيمنح عالمه فرصة المرور إلى هذا العالم ..

والسيطرة عليه ..

إلى الأبد ..

★ ★ ★

دفن (أكرم) وجهه بين كفيه ، فى يأس ومرارة بلا حدود ، وهو يقول :

- مستحيل ! حتى (أمجد صبحى) لن يجد وسيلة للقضاء على هذا الشيطان .. الأمر يحتاج إلى معجزة .

قال رئيس الجمهورية فى توتر :

- (أمجد) يعلم الآن أن هذا الشىء ليس أنا ، وأنه يهدِّد سلامة البلاد والعالم كله ، وهو لن يقف ساكنًا .

قال وزير الدفاع فى أسى :

- وما الذى يمكنه أن يفعله ؟! ذلك الكائن البشع ينتحل شخصيتك ، وإذا ما حاول (أمجد) المساس به ، سيهاجمه الكل ويتصدَّون له بكل قوتهم .

قال الرئيس فى حزم :

- لست تعرف (أمجد) كما أعرفه .

قال مدير مكتب الوزير فى عصبية :

- من الواضح أنك تولى ذلك المستشار ثقتك كلها يا سيادة الرئيس .

أجابه الرئيس فى حزم أكبر :

- لأننى أعرفه جيدًا .. وربما أكثر مما يعرفه أى شخص منكم .

هتف وزير الدفاع :

- وما الذى يمكنه أن يفعله ؟!

أشار إليه الرئيس ، مجيبًا فى ثقة :

- سيجد وسيلة .

صمت الكل بضع لحظات ، وهم يتبادلون نظرة متوترة ، قبل أن يغمغم (أكرم) ، وهو يعبث فى جيوبه بلا داع :

- أتعشَّم هذا .

انعقد حاجبا الرئيس فى توتر شديد ، وهمَّ بقول شىء ما ، و ..

« رباه ! »

أطلق (أكرم) الهتاف فجأة ، فالتفت إليه الجميع فى توتر ، وهتف الوزير :

- ماذا هناك ؟!

فتح (أكرم) يده ، التى تحوى حفنة من الرمال ، هاتفًا فى انفعال :

- انظروا ماذا وجدت !!

حدق الجميع فى حفنة الرمال بدهشة واستنكار ، قبل أن يقول مدير مكتب الوزير فى حيرة عصبية :

- وماذا وجدت ؟!

هتف به (أكرم) ، وهو يمدّ يده نحوه :

- ألا ترى يا رجل ؟!

أجابه الرجل ، فى عصبية أكثر :

- أرى حفنة من الرمال .. مجرَّد حفنة رمال .

هتف (أكرم) فى حماس :

ليست رمالاً عادية يا رجل .. إنها تلك الرمال ، التى حدَّثتكم عنها .

قال القائد الأعلى فى انفعال :

ـ الرمال الحية .

هتف (أكرم) :

ـ بالضبط .

عاد الكل يتطلَّع إلى حفنة الرمال ، من هذا المنظور الجديد ، قبل أن يقول الرئيس فى حذر زائد :

ـ ولماذا الانفعال ؟! حتى ولو كانت حفنة من الرمال الحية .. ما الذى يمكن أن تفعله ؟!

صمت (أكرم) بعض الوقت ، قبل أن يهزّ رأسه ، قائلاً :

ـ لست أدرى .

حدَّق الكل فى وجهه بدهشة مستنكرة ، قبل أن يتراجع مدير مكتب الوزير ، قائلاً فى حدة :

ـ يا للسخافة !

هتف (أكرم) :

ـ ربما وجدنا وسيلة ما .

سأله الوزير فى عصبية :

ـ مثل ماذا ؟!

أشار (أكرم) إلى الساعة الإليكترونية التى يرتديها القائد الأعلى ، قائلاً فى توتر شديد :

ـ لست أدرى ، ولكنها تثور بشدة ، عند تشغيل مثل هذه الأشياء .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، ورفع ساعة الاتصال إلى وجهه ، قائلاً :

ـ أنت على حق .

ولكن الوزير هتف محنقًا :

ـ وما الذى يمكن أن يغنيه هذا ؟! إننا نستطيع استفزاز حفنة من الرمال الحية ، داخل هذا السجن البشع ؟!

أجابه القائد الأعلى فى حزم :

- بل يعنى أننا لا نعلم ما الذى يمكن أن يفعله هذا .

ثم انتزع الساعة من حول معصمه ، وأدناها من الجدار الشفاف السميك ، متابعًا فى حماس :

- وخاصة لو ألصقناها بهذا الجدار .

بدا الشك على وجوه الجميع ، وتمتم الرئيس فى توتر :

- وما الذى يمكن أن تفعله حفنة من الرمال ؟!

قال (أكرم) فى سرعة :

- مما رأيته بعينىّ ، ربما تفعل الكثير .

تضاعف الشك فى العيون ، وفى صوت وزير الدفاع ، وهو يغمغم :

- ربما .

كان الأمر يبدو بالنسبة لهم ، أشبه بالقشة ،

التى يتعلّق بها الغريق ، كآخر أمل فى النجاة ، حتى ولو بدا أمرها غير منطقى ..

ولكنه لا يملك سواها ..

وسوى الأمل ..

خاصة وأن (نور) ورفاقه قد اختفوا تمامًا ، تحت رمال الصحراء ..

تلك الرمال التى ابتلعت كل شىء ..

كل شىء على الإطلاق ..

* * *

« ما الوسيلة المثلى لمواجهة ذبذبة منتظمة ؟! »

ألقى (كونار) السؤال فى صرامة عصبية ، على خبير الصوتيات والاتصالات ، فى مركز الأبحاث العسكرى ، فتنحنح الرجل ، وأشار بيده ، مجيبًا فى حذر :

- هذا يتوقّف على نوعية وتردّدات تلك الذبذبة يا سيادة الرئيس .

أشار (كونار) بيده إلى شاشة المتابعة الإليكترونية ، قائلاً بلهجة صارمة ، آمرة ، قاسية :

- هذه الذبذبة .

مال خبير الاتصالات بوجهه ، يطالع الذبذبة الفائقة ، التى تسجلها الأجهزة المتقدِّمة قبل أن يقول فى دهشة :

- رباه ! لايوجد أى جهاز ، على الأرض كلها ، يمكن أن يطلق مثل هذه الذبذبة .

قال (كونار) فى عصبية :

- ولكن الأجهزة الأرضية تسجِّلها ، وهذا يعنى أنها قابلة للرصد .. أليس كذلك ؟!

أجابه الرجل ، فى توتر شديد :

- إنها قابلة للرصد بالتأكيد ؛ فهذا يعتمد على كفاءة الأجهزة ، التى يمكنها رصد مساحة واسعة من الذبذبات ، ونوعيات غير متوقَّعة منها ، مثل الذبذبات المنتظمة ، ذات الإيقاف والبدء الحرجين ، ولكن كل الأجهزة الأرضية المعروفة ، لايمكنها إنتاج ذبذبة مماثلة ، وخاصة ذلك الجزء المختصّ منها بالإيقاف الحرج ، الذى ينقل الذبذبة من أوجها إلى الصفر مرة واحدة ، دون المرور بالمنحنى الهابط التقليدى ، لكل ذبذبة أرضية .

لوَّح (كونار) بيده ، قائلاً فى صرامة عصبية :

- كف عن التفاصيل الفنية السخيفة ، وأجبنى مباشرة .. هل يمكن اعتراض تلك الذبذبة ، وإفساد مفعولها ؟!

صمت الرجل بضع لحظات فى حذر ، قبل أن يقول :

- كل شىء ممكن ، ولكن ..

سأله (كونار) فى عصبية :

- ولكن ماذا ؟!

تردَّد الرجل بضع لحظات أخرى ، قبل أن يجيب فى توتر :

- هذا يحتاج إلى الأجهزة المناسبة ، والـ .. والخبراء المناسبين .

أشار (كونار) بيده ، قائلاً :

- سأمنحكم كل الصلاحيات الممكنة ، للاستعانة بأقوى الأجهـزة وأفضلها ، مهما بلغت ندرتها وتكاليفها .. أما عن الخبراء ، فيمكنكم استدعاء أى خبير مناسب ، من أى مكان فى العالم .

هزّ الرجل كتفيه ، قائلاً :

- لا يوجد فى العالم أجمع سوى خبيرة واحدة ، يمكنها فعل هذا يا سيادة الرئيس .

قال (كونار) فى حزم :

- أرسل فى استدعائها فورًا .

تردَّد الرجل مرة أخرى ، وقال :

- هذا مستحيل عمليًّا يا سيادة الرئيس .

سأله (كونار) فى حدة :

- ولماذا ؟!

أشار الرجل بيده ، مجيبًا فى حذر :

- لأنها قد لقيت مصرعها ، مع زوجها وابنها ، وبعض رجالنا ، فى المنطقة (ص) يا سيِّدى .

اتسعت عينا (كونار) ، وهو يقول :

- هل تقصد ..

هتف الرجل فى سرعة :

- نعم يا سيادة الرئيس .. السيِّدة (سلوى) ، زوجة المقدَّم (نور) ، كانت أفضل من يؤدى هذا العمل .

انعقد حاجبا (كونار) فى شدة ، وأطلّ منهما غضب الدنيا كله ، وهو يقول فى صرامة :

- ابحث عن خبير آخر .

قال الرجل فى توتر :

ـ ولكن يا سيادة الرئيس ..

قاطعه (كونار) بصرخة هادرة مدوية :

ـ قلت : ابحث عن غيرها .. من المستحيل ألا يكون فى (مصر) كلها ، سوى خبيرة واحدة ، يمكنها التصدَّى لهذا الأمر .. أريد خبيرًا آخر ، خلال ساعة واحدة من الآن .. هل تفهم ؟! خبيرًا يمكن أن يوقف عمل تلك الذبذبة المنتظمة ، قبيل منتصف الليل ، بأية وسيلة كانت .. هيا .. لاتضيع لحظة واحدة .

امتقع وجه الرجل ، وهو يهتف :

ـ كما تأمر يا سيادة الرئيس .. كما تأمر .

واندفع لتنفيذ الأمر ، تاركًا (كونار) خلفه ككتلة مجسَّمة من الغضب والثورة ..

لقد تبقت ثلاث ساعات فحسب ، قبل لحظة التماس العظمى ..

وهو لن يسمح بإفساد الأمر ، مهما كانت الأسباب ..

سيفتح الطريق أمام قومه وجيوش عالمه ، لتحتلَّ كلها هذا العالم ، بأية وسيلة ..

أية وسيلة ..

على الإطلاق .

* * *

٣ ـ الخبـــراء ..

سعل (حاتم) مرتين ، وهو يدسّ مفتاح منزله ، في الثقب الخاص به ، وهزّ رأسه ، وهو يغمغم في سخرية مريرة :

ـ أظنني الشخص الوحيد ، في هذا العصر ، الذى ما زال يستخدم تلك المفاتيح التقليدية ، والذى ..

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه في شدة ، وهو يحدّق في المفتاح ، قبل أن يتمتم في عصبية :

ـ عجبًا ! أكاد أقسم إننى قد أدرت هذا المفتاح ثلاث مرات ، عندما غادرت المنزل .

توقّف لحظة ، محاولاً استعادة ذاكرته ، ثم لم

يلبث أن سحب مسدسه التقليدى من حزامه ، وهو يقول في صرامة :

ـ نعم .. لقد فعلتها .

دفع باب المنزل في حذر ، شأن الأيام القديمة ، ثم وثب إلى الداخل في حركة مباغتة ، وأضاء نور الحجرة ، وهو يرفع مسدسه ، و ..

« أنت ؟! » ..

هتف بالكلمة ، بكل دهشة الدنيا ، وهو يعتدل ، مغمغمًا بنفس الدهشة :

ـ هنا ؟!

ابتسم (أمجد صبحى) ، وهو يجلس بمنتهى الهدوء ، على مقعد وثير ، في مواجهة الباب ، وقال :

ـ مرحبًا يا (حاتم) .. من الواضح أنك لم تفقد بعد حاستك القديمة .. حاسة رجل المخابرات المحنّك .

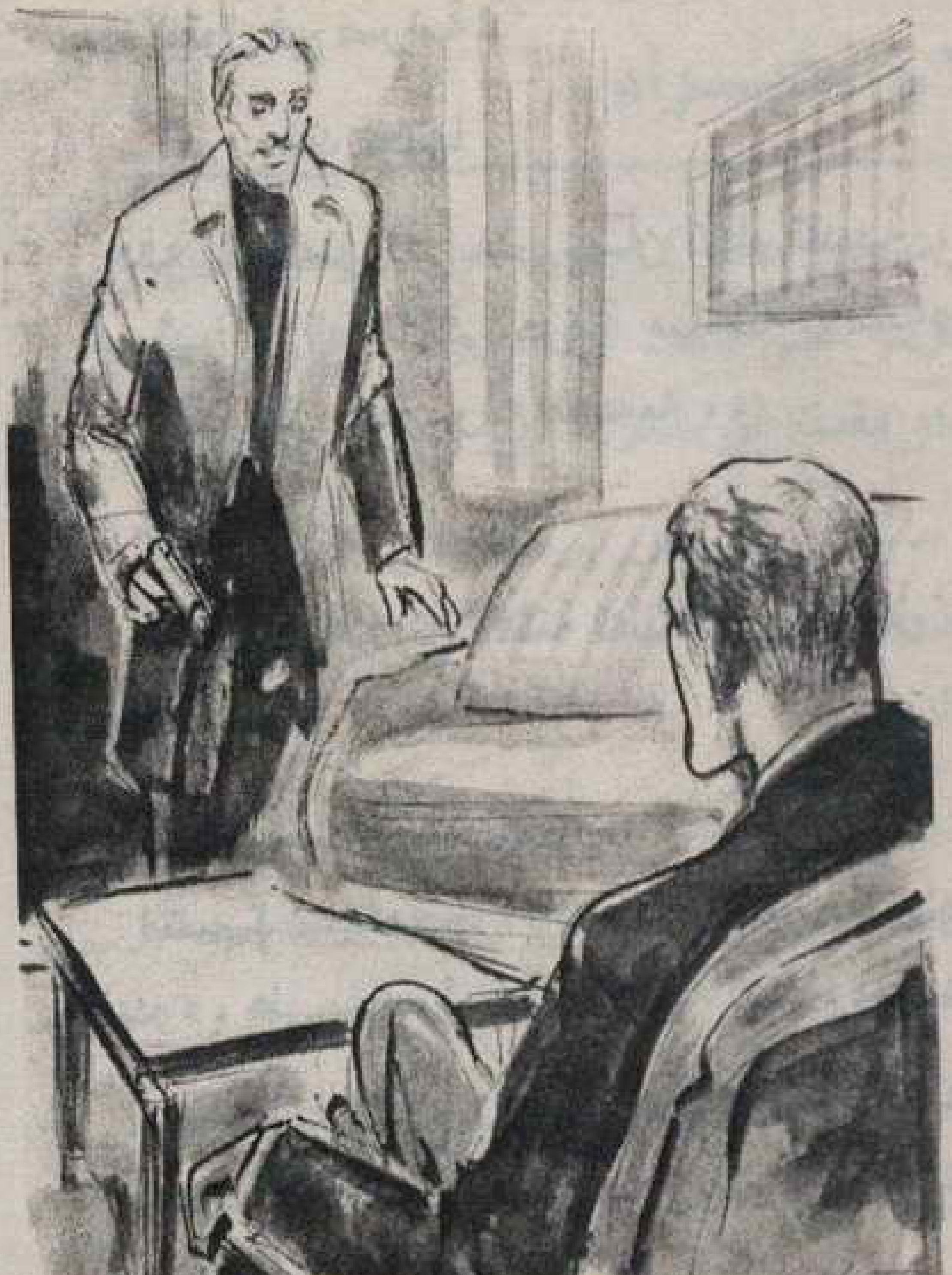

ثم وثب إلى الداخل فى حركة مباغتة ، وأضاء نور الحجرة ، وهو يرفع مسدسه ..

مطَّ (حاتم) شفتيه ، وهو يعيد مسدسه إلى حزامه ، قائلاً :

- كان هذا فى الماضى يا سيِّد (أمجد) .

هزَّ (أمجد) كتفيه ، وهو يقول بنفس الهدوء والابتسامة :

- ولكنك ما زلت تحتفظ بكل شىء ، باستثناء المهنة والرتبة .. نفس الحذر ، وسرعة البديهة ، والمرونة .. وحتى مسدسك القديم .

تنهدَّ (حاتم) فى عمق ، وأغلق باب منزله ، ثم جذب مقعدًا ، وجلس أمام (أمجد) ، قائلاً فى مرارة :

- هل نسيت الذكريات ؟!

أومأ (أمجد) برأسه متفهمًا ، وهو يقول :

- فى رأيى ، أنك واحد من أفضل من عرفت (مصر) ، فى هذا المضمار .

ابتسم (حاتم) فى مرارة ، قائلاً :

- عظيم .. هل سنحصل على شهادة تقدير ؟!

ضحك (أمجد) ، وهو يشير بيده ، ويقول :

- لقد حصلتم عليها بالفعل يا رجل .

غمغم (حاتم) :

- بالطبع كدت أنسى وجودها ، على الرغم من أنها ما زالت تزين الجدار ، فى حجرة الصالون .

قال (أمجد) فى حزم :

- وتزين حياتك أيضًا يارجل .

مطَّ (حاتم) شفتيه ، وهو يغمغم :

- بالتأكيد .

ثم مال نحو (أمجد) ، قائلاً :

- والآن دعنا ننتقل إلى السؤال الحقيقى .. إنك لم تقتحم منزلى ، وتجلس بانتظار عودتى فى الظلام ، لنستعيد معًا ذكريات الأيام الخوالى .. أليس كذلك ؟!

أومأ (أمجد) برأسه ، مجيبًا فى حزم :

- بلى .

ثم مال بدوره نحوه ، وهو يضيف :

- الواقع أن (مصر) بحاجة إليك .

تراجع (حاتم) بحركة حادة ، هاتفًا :

- إلىَّ أنا ؟!

أجابه (أمجد) فى حزم :

- إلى كل الفريق يا (حاتم) .. أو كل من تبقَّى منه على الأقل .. ولقد أجريت اتصالاتى بالجميع ، وهناك تسعة رجال فى انتظارنا ، لنبدأ أكبر عملية فى حياتنا كلها .. بل فى تاريخ (مصر) كلها .

ردَّد (حاتم) بدهشة بالغة :

- تاريخ (مصر) .

ثم نهض من مقعده ، متسائلاً فى عصبية :

- أى قول هذا يا سيِّدى ؟! إننا لم نعد ننتمى إلى جهاز الأمـن فـى (مصر) .. أى جهاز أمن .. لقد أصبحنا مجـرَّد تـاريخ .. هل نسيت هذا ؟! إننا لم نعد نناسب طبيعة الصراع ، فى زمن التكنولوجيا المتطوِّرة ، و ...

قاطعه (أمجد) فى حزم صارم :

- (مصر) بحاجة إليك يا (حاتم) .

ارتجفت شفتا الرجل ، وهو يغمغـم ، كمـن لايصدِّق نفسه :

- إلىَّ أنا ؟!

نهض (أمجد) بدوره ، قائلاً :

- (مصر) فى خطر .. بل العالم كله فى خطر ، وهناك شخص ينتحل هيئة رئيس الجمهوريـة ، ويخدع الكل بهذا .. ولن يفلح أى أسلوب تقليدى فى مواجهة هذا الموقف .. كل الأساليب الأمنية العادية ستفشل حتمًا .. لذا فالأمر يحتاج إلى رجال حقيقيين .. إلى فريق انتحارى ، لايتردَّد لحظـة فى بذل حياته ، من أجل واجبه .. فريق يمكنه أن يقوم بعمل جنونى ، قد يستنكره العالم كلـه ، لمجرَّد أنه يثق بصحة ما يفعل ، ولا يبالى بما يمكن أن يوصم به بعد هذا .

ثم وضع يده على كتفه ، مضيفًا بكل الحزم :

- باختصار .. الموقف يحتـاج إلـى رجـال .. رجال بمعنى الكلمة .

صمـت (حـاتم) طويـلاً ، وازدرد لعابـه فـى صعوبة ، قبل أن يسأل فى خفوت :

ـ وأين الرئيس الحقيقى ؟!

أجابه (أمجد) فى حزم :

ـ لا أحد يدرى .. ربما سجين ، أو أسير ، أو لقى مصرعه بالفعل .. وربما يعتبر الكل ما سنفعله انقلابًا على نظام الحكم الشرعى فى البلاد ، ولكن لو لم نفعله ، فقد نفقد عالمنا كله .. إلى الأبد .

طال صمت (حاتم) مرة أخرى ، فرفع (أمجد) يده عن كتفه ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يشدّ قامته ، ويسأله فى صرامة :

ـ والآن .. ما قولك ؟!

تطلّع إليه (حاتم) لحظة ، ثم لم يلبث أن شدّ قامته بدوره ، وارتفعت يده بتحية عسكرية ، لم يؤدها منذ سنوات ، وهو يقول بكل الحزم والحسم :

ـ أنا فى خدمتك يا سيدِّ (أمجد) .

وهنا ابتسم (أمجد) ..

ابتسم بكل ارتياح الدنيا ، وقد أدرك الآن أنه يقود فريقًا ..

فريقًا حقيقيًا من الرجال ..

بل من الخبراء ..

الخبراء القادرين على مواجهة المستحيل ..

كل مستحيل ..

* * *

« أظننا نستطيع فعلها يا سيادة الرئيس .. »

نطق خبير الصوتيات والاتصالات العبارة ، فى ثقة شديدة ، على نحو جعل (كونار) يهتف فى لهفة :

- حقًا ؟! هل تستطيع إيقاف عمل تلك الذبذبة ؟!

هزَّ الخبير رأسه نفيًا فى هدوء ، وقال :

- ليست لدينا وسيلة واحدة لإيقافها .

استعاد وجه (كونار) كل غضبه وتوتره ، ولكن الخبير استدرك فى سرعة :

- ولكننا نستطيع إفساد مفعولها .

سأله (كونار) بلهفة أكثر :

- كيف ؟!

أشار الخبير إلى شاشة الفحص ، وهو ينفث دخان غليونه ، قائلاً :

- من الواضح ، طبقًا للرصد ، أن مصدر تلك الذبذبات الفائقة ، أيًا كان ، يوجِّه طاقته كلها إلى نقطة بعينها ، ترتفع عشرين مترًا عن سطح

الصحراء ، وأنه يواصل إطلاق وبث ذبذباته طوال الوقت ، وكأنما يستهدف إحداث تأثير خاص ، وهذا التأثير - كما هو واضح - يعوق موجات أخرى ، تنبعث من مصدر مجهول تمامًا ، وكلاهما يبلغ حدًا لايمكن تحقيقه ، بأى جهاز نعرفه على أرضنا ، و ...

قاطعه (كونار) فى عصبية :

- أخبرنى بما لديك ، دون الخوض فى التفاصيل .

نفث الخبير دخان غليونه مرة أخرى ، قائلاً :

- فليكن .. أعتقد أننا لو أطلقنا ذبذبة خاصة موجَّهة ، تعترض مسار بث الذبذبات الأولى ، فإننا نستطيع إتلافها ، أو الشوشرة عليها ، بحيث لاتصل إلى نقطة الالتقاء بنفس مفعولها ، أو ترددداتها .

سأله (كونار) فى اهتمام شديد :

- هل تعنى أنها ستفقد عندئذ مفعولها ، فى مواجهة الموجات الأخرى ، التى تنبعث من الفراغ ؟!

أشار الخبير بيده ، مجيبًا فى حماس :

- بالضبط .

ثم عاد يشير إلى الشاشة ، متابعًا :

- الموجات الأخرى ، ذات المصدر المجهول ، لن تكون حرة تمامًا ، فى هذه الحالة ، ولكنها على الأقل ستواجه بموجات عديمة التأثير عليها ، بحيث يمكنها بلوغ درجتها القصوى وقتما تريد .

هتف (كونار) :

- عند منتصف الليل بالضبط .

نفث الخبير دخان غليونه فى حيرة ، وهو يقول :

- وقتما تشاء يا سيادة الرئيس .

تألَّقت عينا (كونار) ، وهو يقول :

- عظيم .. عظيم .

ثم تلاشى تألُّق عينيه بغتة ، وهو يتابع فى توتر :

- ولكن كيف يمكننا إطلاق تلك الذبذبات الاعتراضية .. لقد أخبرتك أن أيةَ صورة من صور التكنولوجيا تكفى ، لإشعال الوسائل الدفاعية المخيفة ، لذلك الشىء الكامن فى قلب الصحراء ، والذى يبثّ الذبذبة المطلوب اعتراضها .

هزّ الخبير رأسه ، قائلاً :

- لدينا نحن العسكريين مزية خاصة ، لايمتلكها سوانا يا سيادة الرئيس .

ثم أشار إلى خريطة فضائية كبيرة ، مستطردًا :

- الأقمار الصناعية .

تطلّع (كونار) إلى الخريطة ، وهو يسأل فى حذر :

- وماذا عنها ؟!

اقترب الخبير من الخريطة ، وهو يقول :

- ما تراه أمامك من أقمار ليس كله موجهًا للاتصالات يا سيادة الرئيس ، ولا حتى للمراقبة والرصد .. هناك أيضًا بعض الأسلحة الدفاعية والهجومية ، التى نضعها فى المعتاد ، فى قلب أقمارنا الصناعية ؛ لتذود عنا عند الحاجة ، أو تتحوّل إلى سلاح فتّاك ، إذا ما واجهنا اعتداءً غاشمًا ، ومن بين تلك الأسلحة توجد المدافع الصوتية .

ردّد (كونار) فى حذر :

- المدافع الصوتية .

نفث الخبير دخان غليونه مرة أخرى ، قائلاً :

- نعم ياسيادة الرئيس .. المدافع الصوتية .. إنها مدافع من نوع خاص ، محاطة بغلاف تركيز ، بحيث يمكنها إطلاق نبذبات قوية للغاية ، تجاه نقطة محدودة ، بتركيز يشبه ما يحدث مع الضوء ، فى أشعة الليزر .. إنها أحد أفضل أسلحتنا السرية يا سيّدى .

عادت عينا (كونار) تتألقان ، وهو يهتف :

- عظيم .. رائع .

ثم تساءل فى حذر :

- ولكن ماذا عن مصدر الذبذبة الرئيسيةَ ؟! ألا يمكنه تعديل شدة ذبذباته أو اتجاهها ، بحيث يتفادى الاعتراض ؟!

أجابه الخبير فى هدوء :

- بالطبع يمكنه هذا .

ثم استدرك فى سرعة :

- إلا إذا ..

قاطعه (كونار) بكل اللهفة :

- إلا إذا ماذا ؟!

تراجع الخبير بمنتهى الثقة ، قائلاً ؟!

- إلا إذا لم نمنحه الفرصة لهذا .

سأله (كونار) :

- وكيف ؟!

أشار الرجل بيديه فى حماس ، وهو يقول :

- لو أننا حدَّدنا التوقيت الدقيق ، لبلوغ الموجات الأخرى أقصاها ، يمكننا ألا نطلق مدافعنا الصوتيَّة ، التى تحمل ذبذبتنا الاعتراضية ، إلا فى تلك اللحظة

بالتحديد ، وبهذا نمنح تلك الموجات مجهولة المصدر ، فرصة بلوغ قوتها العظمى ، بحيث تحقِّق هدفها ، قبل أن تبدأ الذبذبات الأخرى فى تعديل شدتها أو اتجاهها .

هتف (كونار) :

- عظيم .. عظيم .

ثم ربَّت على كتف الخبير فى قوة ، مستطردًا :

- أنت عبقرى يا رجل .. سأمنحك مكانة خاصة .. خاصة للغاية .

غمغم الخبير ، فى سعادة جمة :

- أنا رهن إشارتك يا سيادة الرئيس .

لوَّح (كونار) بسبَّابته ، قائلاً :

- عظيم .. هيا .. ابدأ عملك فورًا ، لتحويل نظريتك هذه إلى حقيقة .. سأمنحك كل الصلاحيات

اللازمة ، وسآمر الكل بتقديم كل العون لك ، على أن تنطلق النبذبات الاعتراضية فى منتصف الليل تمامًا .. هل تفهم .. فى منتصف الليل تمامًا .

قال الخبير فى حماس :

ـ حياتى مقابل هذا يا سيادة الرئيس .

ابتسم (كونار) ، قائلاً :

ـ بالتأكيد .

ثم أشار بيده ، مستطردًا :

ـ هيا .. اذهب .

لم يكد الخبير يغادر المكان ، حتى تموّج وجه (كونار) ، ليستعيد ملامحه الأصلية ، وهو يبتسم ابتسامة وحشية ، كشفت عن أنيابه الحادة ، وهو يقول :

ـ ستحصل بالفعل على مكانة خاصة ، عندما

تحين لحظة التماس العظمى .. ستكون عندئذ آخر من أقتله .

قالها ، وانطلقت من حلقه ضحكة ظافرة مجلجلة عالية ..

لقد كان على حق ..

هناك بالفعل وسيلة لإفساد مهمة الـ (ميجالون) ..

ولتأمين عملية انتقال جيوش عالمه إلى هذا العالم ..

عندئذ فقط سيدرك أن مهمته قد نجحت ..

وأن عالم الأرض قد انتهى زمنه ..

تمامًا ..

* * *

انتهى القائد الأعلى للمخابرات العلمية من

تثبيت ساعته ، فى ذلك الجدار الشفاف السميك ، قبل أن يلتفت إلى (أكرم) ، ويسأله فى حذر :

ـ أأنت مستعد ؟!

مدَّ (أكرم) يده إلى الأمام ، بحفنة الرمال المستقرة فيها ، وهو يقول بصوت بالغ التوتر :

ـ بالتأكيد .

ازدرد الوزير لعابه ، قائلاً :

ـ لست أظن هذا ينفع .

أجابه رئيس الجمهورية فى حزم :

ـ لا ضير من المحاولة .

ثم أشار إلى ما حولهم ، قائلاً :

ـ إنك لن ترضى بالبقاء فى هذا الجحيم إلى الأبد .

تلفت الوزير حوله ، وضاق صدره مع مرأى ذلك الضباب الأخضر ، الذى يحيط بهم ، وسط فراغ رهيب مخيف ، وهو يتمتم :

ـ بالتأكيد .

التفت الرئيس إلى القائد الأعلى ، وقال فى صرامة :

ـ هيا على بركة اللّٰه .

رفع القائد الأعلى يده ، وضغط زر البث فى الساعة الإليكترونية ، ثم تراجع عنها فى سرعة ..

ومع الضغط ، انتفض جسد (أكرم) ، وهو يحدِّق فى حفنة الرمال ، وقلبه يخفق بقوة وعنف ..

ولثوان ، لم يحدث شىء ..

أى شىء ..

ثم فجأة ، شعر بالحركة فى راحته ..

وانتفض جسده مرة أخرى ..

وفى بطء ، تكوَّرت حفنة الرمال ..

ثم انتصبت واقفة ..

لم تكن تشبه الأفعى هذه المرة ، وإنما بدت أشبه برأس سهم ..

سهم قوى ، مال فى بطء ، متجهًا نحو الساعة ، التى واصلت بث نبذباتها المنتظمة ، ذات الترددات الفائقة ، و ...

وفجأة ، وثب رأس السهم الرملى نحو الساعة ..

وارتطم بها فى قوة ..

وتردَّد فى الفراغ دوى عنيف ..

دوى بدا أشبه بقرع عشرات الأجـراس ، فى آن واحد ..

ولكن الساعة لم تتحطمً ..

لذا فقد تراجع رأس السهم مرة أخرى ، وكأنما يدرس الموقف جيِّدًا ، قبل أن ينقضَ مرة أخرى على الساعة القوية ..

وفى هذه المرة ، لم يضرب الساعة ..

ولم يتصاعد ذلك الدوى ..

لقد أحاط بها ، فى هدوء ونعومة ، كما لو أنه يذوب حولها ، حتى اختفت تحت الرمال تمامًا ..

وعندئذ ، بدأت الرمال تتألَّق ..

وتتألَّق ..

وتتألَّق ..

وفى خوف ، تراجع مدير مكتب الوزير ، قائلاً :

ـ رباه ! إنها .. إنها ستنفجر .

صاح به الوزير فى غضب :

ـ اصمت .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يراقب ما يحدث فى انفعال شديد ..

وأمام الجميع ، بدا وكتأن ذلك الجدار الشفاف السميك يذوب ..

ويذوب ..

وأن حفنة الرمال تغوص فيه فى بطء ، مع ساعة القائد الأعلى ..

وغمغم (أكرم) ، فى توتر بالغ :

- تُرى هل ..

لم يستطع إكمال سؤاله ، من فرط انفعاله ، وهو يراقب الرمال ، التى أصبحت حمراء اللون كالحمم ، وهى تواصل اختراق ذلك الجدار السميك أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وغمغم الرئيس فى عصبية :

- رباه ! يبدو أنها ستفعلها بحق .

تمتم القائد الأعلى فى انفعال :

- المهم أن تواصل عملها هذا ، حتى الجانب الآخر .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انطلقت من حلق الوزير شهقة توتر قوية ..

فبنفس البطء المستفز ، راحت أطراف الفجوة ، التى أحدثتها الرمال فى الجدار الشفاف السميك تذوب ، ثم تنهمر داخلها ، وتتجمّع لإغلاق ما حفرته الرمال ..

وهتف (أكرم) فى غضب :

- لا .. هذا ليس عدلاً ..

وأمام عيونهم ، كانت حفنة الرمال تواصل رحلتها عبر الجدار ، مع ساعة القائد ، فى حين يواصل الجدار نفسه الالتئام خلفها ، كما لو أنه يتكوّن من مادة أخرى ذات حياة ..

ثم بلغت الرمال والساعة الجانب الآخر ..

ومع بلوغها إياه حدثت ظاهرة غريبة ..

وعجيبة ..

للغاية ..

لقد راحت ذرات الرمال تكبر وتتضخّم بسرعة مدهشة ..

ثم سقطت مع الساعة أرضًا ..

وعبر الزجاج الشفاف ، شاهد الكل الساعة تسقط أرضًا ، وقد استعادت حجمها الأصلى ، وتتساقط حولها ذرات الرمال ..

ومع ارتطامها بالأرض ، استدار إليهم (كونار) فى حدة ..

وغضب ..

وثورة ..

وبملامح مخيفة رهيبة ، نهض إليهم ، وتطلّع

عبر الجدار الشفاف السميك ، الذى ضاعف من ضخامة ملامحه ، بالنسبة إليهم ، وهو يقول بكل الغضب :

- ماذا فعلتم بالضبط ؟!

ثم لاحت منه التفاتة إلى الساعة الملقاة أرضًا ، فانحنى يلتقطها فى غضب ، ورفعها إلى وجهه ، هاتفًا :

- كيف فعلتم هذا ؟!

ودون أن ينتظر منهم جوابًا ، تابع فى حدة :

- اسمعونى جيدًا .. ليست لدى لحظة واحدة أضيعها معكم ، فى هذه الرحلة بالذات .. حافظوا على وجودكم ، واحرصوا على عدم إثارة غضبى، وإلا ..

وألقى الساعة أرضًا ، ثم سحقها بقدمه فى عنف ، مضيفًا :

- وإلا سحقتكم هكذا :

ومال نحو الكرة أكثر ، صارخًا :

- هل تفهمون ؟!

امتقعت وجوههم ، وهم يحدقون فى ملامحه الهائلة المخيفة ، من موقعهم الضئيل هذا ، قبل أن يتراجع بحركة حادة ، ويعود إلى أجهزته وشاشاته ..

ولثوان ، خيم عليهم صمت تام ، لم يقطعه سوى صوت القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، وهو يقول فى خفوت :

- هل أدركتم ما يعنيه هذا ؟!

ارتجف صوت مدير مكتب الوزير ، وهو يجيب :

- إنه مستعد لسحقنا جميعًا .

هتف به القائد الأعلى فى صرامة :

- ليس هذا بالتأكيد .

قال (أكرم) فى انفعال :

- أنا لاحظت ما تقصده .. لقد تمددّت الساعة ، فور خروجها من هذه الكرة ، وهذا يعنى أن ..

قاطعه القائد الأعلى فى حزم :

- ليس هذا ما أعنيه .

سأله رئيس الجمهورية :

- ما الذى تشير إليه إذن ؟!

أجابه فى حماس :

- الساعة ظلت تعمل ، وتبث إشاراتها ، حتى بعد أن خرجت من الكرة وتمددّت .

سأله وزير الدفاع فى حذر :

- وبِمَ يفيد هذا ؟!

أجابه القائد الأعلى فى حماس :

- هذه الساعة خاصة للغاية ، وتبث إشاراتها

فى نطاق واسع ، بحيث تستقبلها أجهزة مماثلة ، يحملها كل رجال المخابرات العلمية ، الذين ينتمون إلى فرق العمليات الخاصة ، كما سيستقبلها الدكتور (جلال) أيضًا ، وهذا يعنى أنهم سيدركون وجودنا على قيد الحياة .

قال (أكرم) فى توتر :

- ثم ماذا ؟!

سأله القائد الأعلى فى دهشة :

- ماذا تعنى ؟!

أجابه (أكرم) فى عصبية :

- أعنى ما فائدة حدوث هذا ، ما دام الدكتور (جلال) يدرك بالفعل أننا فى ورطة ، ولقد أرسل أقوى أسلحتكم السرية ، وأعنى بها الرائد (أيمن) شبه الآلى ، الذى رأيناه جميعًا يتحطَّم أمام أعيننا هنا ، على يد هذا الشيطان .

انعقد حاجبا القائد الأعلى فى توتر ، وهو يقول :

- الأمل لم ينقطع بعد .

زفر الرئيس فى مرارة وحرارة ، قبل أن يقول فى أسى :

- الواقع أيها السادة أننى أعتقد ، أن أملنا الوحيد ، بعد اللَّه (سبحانه وتعالى) ، كان يتمثَّل فى (نور) وفريقه ، ولكن هو وحده (عزَّ وجلَّ) ، يعلم أين هم الآن ..

نعم يا سيادة الرئيس ..

السؤال الذى يشغل الجميع بالفعل ، هو أين (نور) ورفاقه الآن ؟!

أين ؟!

أين ؟!

* * *

٤ - من عالم إلى عالم ..

تعالت تلك النبضات ، الشبيهة بنبضات القلب البشرى ، على نحو مخيف ، داخل المدرَّعة (صلب) ، حتى إن وجه الجندى (إسحق) قد امتقع بشدة ، فى حين غمغم الجندى (عبد المنعم) فى ارتياع :

- إنها النهاية .

أشار إليه (نور) بالصمت ، وهو يقول فى حزم :

- رويدك يا رجل .. شىء ما يحدث هنا .

وغمغمت (نشوى) فى انفعال :

- هذا صحيح .. الجهاز يستقبل إشارات عجيبة للغاية .

وتمتمت (سلوى) :

- إشارات لامثيل لها ، حتى لكأنها تبدو كالـ ...

بترت عبارتها بغتة ، واتسعت عيناها عن آخرهما ، وهى تهتف فى هلع :

- رباه ! انظر يا (نور) !

لم يكن (نور) بحاجة إلى هتافها ، هو وكل من حوتهم المدرَّعة (صلب) ، فما حدث أمام عيون الجميع كان مذهلاً ..

مذهلاً بحق ..

جدار المدرَّعة السميك ، المواجه تمامًا لـ (ميجالون) ، كان يتحوَّل إلى شىء عجيب ..

إلى مادة شفَّافة أشبه بالزجاج ..

مادة بدت الرمال عبرها واضحة جلية ، وهى تفصل بين المدرَّعة ، وذلك الجسم الكروى الخارق ..

وبكل الذهول ، هتف (عبد المنعم) :

- مستحيل !

فى حين تمتم (إسحق) :

- يارب السموات .

ومع آخر حروف تمتمته ، انطلق ضوء مبهر فى وجوههم جميعًا .. ضوء أغشى أبصارهم جميعًا ، وجعل (سلوى) تهتف :

- رباه ! ماذا يحدث لنا ؟! ماذا يحدث ؟!

ولم تكتمل عبارتها أبدًا ..

الجزء التالى منها بدا وكأنه ينطلق فى أعماقها ..

أو فى أعماق شىء ما ..

فقد شملها شعور عجيب بأن كيانها كله يتحلَّل ، ويتحوَّل من مادة إلى طاقة .. طاقة صافية ، انطلقت بسرعة مذهلة ، نحو الضوء المبهر ..

واعترضها شىء ما ..

حاجز ما ، أشبه بمادة هلامية رقيقة ، اخترقتها فى نعومة وانسيابية ، وهى تواصل انطلاقها ..

والعجيب أن أفكارها كانت صافية للغاية ..

كل شىء فى حياتها بدا وكأنه يمرّ بصورة واضحة أمام عينيها ..

وبنعومة مدهشة ..

ولوهلة ، تصوَّرت أنها قد لقيت مصرعها ..

وأن هذا هو الموت بعينه ..

ولكن العجيب أنها لم تشعر بالخوف ..

أى خوف ..

لقد كانت - على العكس تمامًا - تشعر بارتياح عجيب ..

كانت وكأنما تخلَّصت من كل مشاعرها السلبية ..

وأحاط بها شعور غامر بالأمان ..

منتهى الأمان ..

ثم فجأة ، اخترق جسدها مرة أخرى ذلك الحاجز الهلامى الرقيق ..

وانطلقت من حلقها شهقة ..

ثم استعاد جسدها كيانه دفعة واحدة ..

وإحساسه بماديته ..

وفى تلك اللحظة فقط ، رأت كل ما حولها ..

ومن حولها ..

لقد كانت تقف وسط ساحة كبيرة لها قبة عالية بيضاء ، مضاءة بضوء هادئ واضح ..

وحولها وقف الكل ..

(نور) ..

و (نشوى) ..

و (الجنديان) ..

وكل العلماء والخبراء ، الذين ابتلعتهم العواصف من قبل ..

دون أى أثر للمعدات أو الأجهزة ..

ولثوان ، راحت تحدّق فى كل شىء بذهول تام ، وأحاط بها صمت مطبق ، والكل يحدّق فى الكل ، و ...

« حمدًا للَّه على سلامتكم .. »

غمغمت الدكتورة (ولاء) بالعبارة ، فى توتر ملحوظ ، وهى تتطلّع إلى (نور) الذى سألها فى حيرة :

ـ أين نحن ؟!

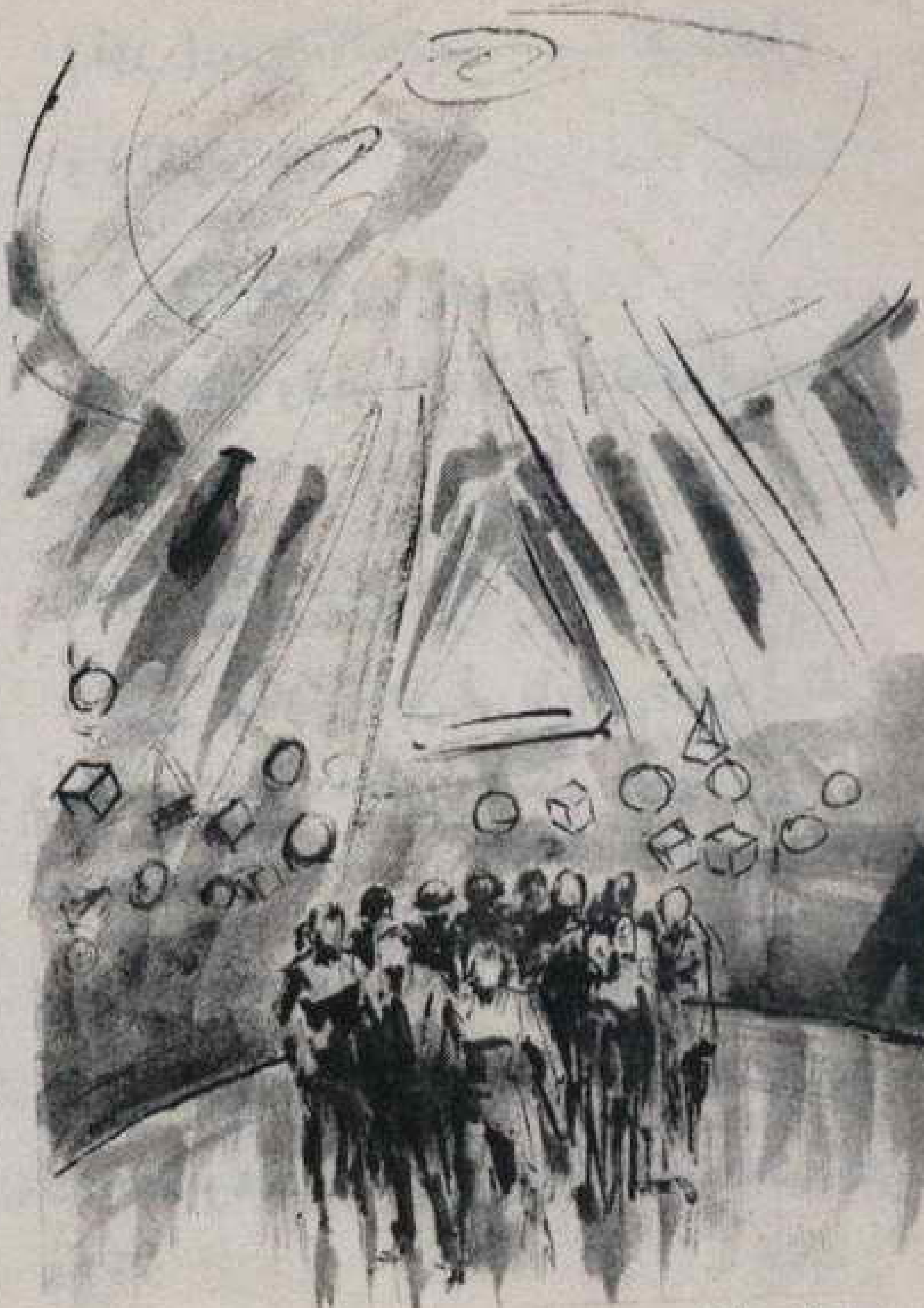

وحولها وقف الكل .. (نور) .. و(نشوى) .. و(الجنديان) وكل العلماء والخبراء ..

أجابه الدكتور (خالد) ، رئيس فريق البحث الأوَّل :

- لا أحد يدرى .. لقد هاجمتنا عاصفة رهيبة ، واقتلعتنا بكل معداتنا ، وتصوَّرنا بعض الوقت أنها ستسحقنا سحقًا ، إلا أننا فوجئنا بضوء مبهر ، ثم تحوَّلت أجسادنا إلى .. إلى شىء ما ، قبل أن نجد أنفسنا هنا .

وهتفت الدكتورة (ليلى) ، بصوت أقرب إلى البكاء :

- لقد تصوَّرنا فى البداية أن هذا هو الموت .

تلفَّت (نور) حوله ، قائلاً فى حزم :

- هذا المكان من صنع مخلوقات عاقلة .

أضافت (نشوى) فى انفعال :

- هـذا صحيح .. تلك الأشياء هناك أشبه بأجهزة

الكمبيوتر عندنا ، وتلك الفجوة فى الجدار .. الفجوة شديدة الاستضاءة .. أراهن على أننا قد أتينا عبرها .

قالت الدكتورة (ولاء) فى حماس :

- هذا صحيح .

انعقد حاجبا (سلوى) ، وهى تقول فى حذر :

- ولكننا لسنا داخل ذلك الجسم الكروى بالتأكيد .

أشار الدكتور (خالد) إلى المكان الضخم ، الذى يحتويهم ، وهو يقول :

- إنه ليس بهذه الضخامة .

هتفت (سلوى) فى عصبية :

- أين نحن إذن ؟!

أجابها (نور) ، فى هدوء عجيب :

- فى عالم آخر .

هتف الدكتور (خالد) مستنكرًا :

- فى ماذا ؟!

أجاب (نور) فى حزم :

- فى عالم آخر .

ثم أشار بيده لما حوله ، مستطردًا :

- كنت أظن أن الأمر أوضح مما ينبغى .

قالت الدكتورة (مارى) فى سرعة :

- هذا صحيح .

ثم استدركت فى خفوت :

- ولكننا نحاول إيهام أنفسنا بالعكس .

شدّ (نور) قامته ، وهو يقول فى حزم :

- لا فائدة من محاولة خداع النفس يا سيدتى .. إننا بالفعل فى عالم آخر .. عالم انتقلنا إليه بوساطة

ذلك الجسم الكروى ، الذى يقبع فى أعماق الرمال ، منذ ملايين السنين .. إنه فى الواقع ليس سوى بوَّابة انتقال .. من عالم إلى عالم .. ذلك الضوء المبهر ، الذى انتقل منها ، لم يكن سوى نوع من الأشعة ، التى تقوم بعمل الانتقال الآنى بين العالمين .. كل مهمتها أن تحوِّل أجسادنا إلى طاقة ، ثم تعيد تجميعها هنا ، فى هذا العالم .. ودقات القلب المنتظمة ، التى رصدناها طوال الوقت ، كانت وسيلة تمييز .

قال الدكتور (خالد) فى عصبية :

- وسيلة ماذا ؟!

أجابه (نور) فى هدوء :

- وسيلة فرز وتمييز يا سيِّدى .. ذلك الجسم ، أو تلك البوَّابة الآنية ، مزروعة هنا ، فى كوكب الأرض ، وهى مجهَّزة بحيث تعمل على نقل البشر

وحدهم إلى هذا العالم .. ليس المعدات ، أو الأجهزة ، أو الحيوانات .. أو حتى أية مخلوقات أخرى .. فقط البشر .. ولهذا كان لا بد من تحديد وسيلة لتمييزهم عن كل الأشياء أو المخلوقات الأخرى .. وأفضل وسيلة لهذا هى دقات قلوبهم .

انعقد حاجبا (سلوى) ، وهى تغمغم :

- لا يبدو لى تفسيرًا كاملاً يا (نور) .

أما الدكتورة (مارى) فقد قالت فى عصبية :

- أى قول هذا يا رجل ؟! إنك تتحدَّث عن تلك الأمور العجيبة المعقَّدة ، كما لو أنها نظرية علمية بسيطة ، ينبغى تدريسها لطلبة المرحلة الأولى .

زفر (نور) فى قوة ، قبل أن يقول :

- مع طبيعة عملى وحياتى ، تبدو تلك الأمور كذلك يا سيِّدتى .

وتمتمت (نشوى) :

ـ هذا صحيح .

هتفت الدكتورة (ليلى) :

ـ لماذا يا رجل ؟! من أنت بالضبط ؟!

ارتفع حاجبا الدكتورة (ولاء) ، وهى تقول :

ـ ألم تتعرفيه ؟! إنه المقدّم (نور الدين محمود) .. بطل التحرير ، ورجل المخابرات العلمية الفذ .

اتسعت عيون الجميع فى دهشة ، وهتف أحد رجال القوات المسلحة :

ـ حقًّا ؟!

ثم اندفع نحو (نور) ، هاتفًا :

ـ لقد أرسلك اللَّه (سبحانه وتعالى) لنجدتنا يا سيادة المقدّم .. قل لنا ما الذى ينبغى أن نفعله ، للخروج من هنا ؟!

هتف الجندى (إسحق) :

ـ نعم يا سيادة المقدّم .. مرنا وسننفذ كل أوامرك .

تلفَّت (نور) حوله فى هدوء وبطء ، وكأنما يلقى نظرة عامة شاملة على الموقف كله ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ ليست مسألة قيادة أيها السادة ، فنحن لن نُشعل حربًا ، فى عالم نجهل قدراتنا فيه بالضبط .

ثم أشار بسبَّابته ، مستدركًا :

ـ ولن نستسلم للموقف أيضًا .

تساءل الدكتور (خالد) فى يأس :

ـ ماذا سنفعل إذن ؟!

التفت (نور) إلى ابنته (نشوى) ، وقال فى حزم :

ـ منذ دقائق ، قلت : إن تلك الأشياء هناك تشبه أجهزة الكمبيوتر ، فهل يمكنك التعامل معها من هذا المنطلق ؟!

قالت الدكتورة (ليلى) فى حنق :

ـ لقد حاولنا هذا وفشلنا .

تجاهل (نور) تعليقها هذا ، وهو يسأل ابنته مرة أخرى فى إصرار :

ـ هل يمكنك هذا ؟!

ألقت (نشوى) نظرة قلقة على الأجهزة العديدة ، قبل أن تغمغم :

ـ يمكننى أن أحاول .

قال فى حزم :

ـ هذا يكفى .

هتف أحد رجال الجيش ، وهى تتجه فى حذر نحو الأجهزة :

ـ ابحثى عن وسيلة لإطعامنا .. إننا نكاد نهلك جوعًا هنا .. لقد تجاهلونا تمامًا منذ وصولنا ، ولو استمر هذا الأمر ، سنموت جوعًا وعطشًا حتمًا .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يغمغم :

ـ حقًا !!

كانت الأفكار تدور فى رأسه بسرعة ، وابنته تقف أمام تلك الأجهزة ، وتفحصها بنظرات قلقة متوترة ..

وفى صمت وهدوء ، اتجهت إليها أمها (سلوى) ، وقالت فى خفوت :

ـ الأمر يبدو عسيرًا ، ولكننى لست أظنه مستحيلاً ..

هزت (نشوى) رأسها ، قائلة :

ـ لا توجد أزرار أو شاشات .. مجرد كرات متناثرة ، بلا ترتيب محدود ، ومكعبات شفافة عجيبة .

قالت (سلوى) :

- ولكنك قلت : إنها تشبه أجهزة الكمبيوتر لدينا .

هزَّت كتفيها ، قائلة :

- كانت تبدو كذلك من بعيد ، أما من هنا ، فهى لا تشبه أى شىء رأيته على الأرض .

تنهدَّت (سلوى) ، وقالت :

- تخيَّلى أنك تنظرين إليها من بعيد ، وابحثى فيها عن أى شىء يشبه ما لدينا .

غمغمت (نشوى) :

- إننى أحاول .

عادت مرة أخرى تلقى نظرة شاملة على تلك الأجهزة ، محاولة استيعابها فى مشهد واحد كامل ، ثم لم تلبث أن تمتمت :

- ربما أن هذه ..

ودون أن تكمل عبارتها ، امتدَّت سبابتها تضغط أحد المكعبات البعيدة ، فى رفق ..

ثم أبعدت يدها بحركة حادة ..

فما إن لامست أصابعها ذلك المكعب ، حتى ابتعد عن يدها فى خفة ونعومة ، وكأنما ينزلق فوق بحيرة صافية هادئة ..

ومع انزلاقه ، تألَّقت البقعة من الفراغ ، التى تعلو الأجهزة مباشرة ..

وتراجع الكل فى خوف ورهبة ..

واتسعت عيونهم عن آخرها ..

وفى نعومة مدهشة ، تكوَّنت صورة ضبابية مجسَّمة ، فى ذلك الفراغ ..

صورة لكائن شبه آدمى ، له رأس ضخم ، وعينان واسعتان ، وأنف دقيق ، وفم رفيع ، وبشرة ساطعة البياض ..

وبهدوء شديد ، وعمق بلا حدود ، نطق ذلك الكائن عبارة ما ، بلغة لم يفهمها أحد الموجودين ..

لغة لا تشبه أية لغة معروفة فى عالم الأرض ..

أو زمن الأرض ..

وفى حيرة ، غمغمت (نشوى) :

ـ لست أفهم شيئًا .

لم تكد تنطقها ، حتى تألّقت إحدى الدوائر المتناثرة ، ثم انتقل التألّق منها إلى دائرة ثانية .. فثالثة ..

وفى حيرة وقلق ، غمغمت الدكتورة (مارى) :

ـ ماذا يحدث بالضبط ؟!

انعقد حاجبا (سلوى) ، وهى تقول :

ـ اختبار لغة على الأرجح .

هتف الدكتور (خالد) :

ـ اختبار ماذا ؟!

مع آخر حروف كلماته ، عاد ذلك الكائن الأبيض ، فى الصورة المجسّمة ، يقول :

ـ مرحبًا بكم فى عالمى .

اتسعت عيونهم فى دهشة ، وأحد العسكريين يهتف :

ـ رباه ! إنه يتحدَّث العربية .

غمغمت (سلوى) :

ـ بالضبط .

وقال (نور) فى اهتمام :

ـ لقد اختبرت الأجهزة عبارة (نشوى) ، وأدركت أنها تتحدَّث العربية .

هتفت الدكتورة (ولاء) :

ـ ومن أين عرفت الأجهزة اللغة العربية ؟!

أتاها الجواب من الصورة الهولوجرافية الضبابية ، والكائن فيها يقول بالعربية :

ـ سماعكم هذه الرسالة يعنى أن الأرض قد بلغت مرحلة كبيرة من التطوّر بحيث صار هناك

من يمكنه فهم أجهزتنا وتشغيلها ، فلقد توقفنا عن مراقبتكم ورصد تطوركم ، منذ ما يقرب من ألف عام من أعوامكم .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ من أنتم بالضبط ؟! وأين عالمكم ؟!

أجابه الكائن فى هدوء عميق :

ـ شعبنا يُدعى (موك) ، وعالمنا يبعد عنكم ملايين السنوات الضوئية ، بحيث إننا لن نبدو لمراصدكم أكثر من نقطة صغيرة ، فى الفضاء السرمدَى ..

سألته (سلوى) :

ـ وأين نحن الآن ؟!

أجابها الكائن :

ـ فى عالمنا .

هتف الدكتور (خالد) فى دهشة مستنكرة :

ـ الذى يبعد ملايين السنوات الضوئية ؟!

أجابه فى هدوء :

ـ بالضبط .

هتفت الدكتورة (ولاء) :

ـ ولكن هذا مستحيل !

أجابها الكائن بنفس الهدوء :

ـ بالفعل هو مستحيل ، بكل قوانين وقواعد وعلوم وتكنولوجيا عالمكم ، ولكن لدينا نحن وسيلة لاختصار الزمان والمكان إلى لحظات ، مهما تباعدت المسافات .

سأله (نور) :

ـ أهو نوع من الانتقال الآنى ؟!

مع سؤاله ، تألَّقت بعض الكرات بتتابع آخر ، فغمغمت (نشوى) :

ـ ما الذى تدرسه الأجهزة هذه المرة ؟!

أجابها (نور) فى حزم :

ـ مستوى معلوماتنا .

كان محقًا فى هذا ، فقد ابتسمت صورة الكائن ، وهو يجيب ، بعد فترة الصمت ، التى اختبرت فيها الأجهزة الأمر :

ـ كلاً .. ليس انتقالاً آنيًا .. إنه شىء أكثر تطورًا من هذا بكثير .

صاح الدكتور (خالد) فى حدة :

ـ السؤال الأكثر أهمية الآن هو : لماذا هاجمتمونا بهذا العنف ، وأسرتمونا هنا ؟!

أجابه الكائن ، دون أن يفقد رصانته وهدوءه :

ـ حضارتنا كلها قامت على السلام والأمن .. لسنا قوم حرب ، مثل الـ (هور) ، وهم أعداؤكم الحقيقيون ، وكل ما فعلناه ، ونفعله حتى هذه اللحظة ، هو محاولة لحمايتكم منهم .

قالت الدكتورة (ليلى) فى توتر :

ـ لم نسمع قط عن هؤلاء الـ (هور) .

أجابها الكائن فى عمق :

ـ إنهم قادمون .

همت بقول شىء آخر ، ولكن (نور) اندفع يسأله فى قلق :

ـ متى ؟!

أجابه الكائن :

ـ بتوقيتكم أنتم ، عند منتصف الليل تمامًا .

اتسعت عينا (نور) فى ارتياع وهو يهتف :

ـ الليلة ؟!

أجابه الكائن بهدوء شديد :

ـ نعم .. الليلة .

ثم تابع ، دون أن يسأله أحدهم :

ـ الـ (هور) قوم محاربون ، وأعمارهم طويلة

للغاية مثلنا ، بالنسبة للمقاييس والمعايير المعتادة فى عالمكم ، فنحن وهم يمكننا أن نحيا فى المتوسط لخمسة آلاف من أعوامكم .. وعلى الرغم من أن عالمينا يبعدان عن بعضهما بملايين السنوات الضوئية أيضًا ، إلا أن كلاً منا يدرك وجود الآخر جيدًا ، ويتابع تطوراته وإنجازاته ، منذ ملايين الأعوام بمقاييس عالمكم .. وتطوراتنا التكنولوجية متشابهة كثيرًا ، إلا أننا قد نجحنا فى التفوق عليهم ، بسبب كارثة هائلة ، تسببوا فيها لأنفسهم ، مع اهتمامهم وتركيزهم على صنع أسلحة ووسائل الدمار الشامل .. ومنذ مليون عام تقريبًا ، حاول الـ (هور) غزو عالمكم ، فى لحظة التماس العظمى ، وهى اللحظة التى تنفتح فيها فجوة كبرى بين العالمين ، يمكن خلالها ، ولثمان وأربعين ساعة من زمنكم ، نقل أعداد هائلة من القوات والمعدات ، تكفى لغزو عالمكم ، وسحقه بالكامل .

اتسعت عيون الجميع فى ارتياع ، وشهقت

(نشوى) فى هلع ، فى حين ردّدت (سلوى) بكل الرعب :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

وتابع الكائن ، دون أن يتخلّى عن هدوئه :

ـ وفى ذلك الزمن ، أرسلنا الـ (ميجالون) ، لمنع تكوّن تلك الفجوة بين العالمين ، مما أفشل محاولة الغزو .

غمغمت الدكتورة (ولاء) :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .

ولكن الكائن أكمل :

ـ ولقد قرّر الـ (هور) إعادة الكرّة ، بعد أن مرّ مليون عام ، وحانت لحظة تماس عظمى جديدة ..

هتف (نور) :

ـ الليلة .

أجابه الكائن :

ـ فى منتصف الليل تمامًا .

سألته (نشوى) فى هلع :

- وهل يمكنكم منع هذه الغزوة ، كما فعلتم من قبل ؟!

صمت الكائن بضع لحظات ، قبل أن يجيب :

- الـ (ميجالون) مجهَّز بحيث يعمل فى قوة ، مع شعوره بوجود أية تكنولوجيا متطوِّرة ، باعتبار أن عالمكم لم يعرف التكنولوجيا المتطوِّرة ، حتى آخر مرة رصدناه فيها ، منذ ألف عام من أعوامكم .. وسيسعى لإبعاد كل البشر عن نقطة التماس ، حماية لهم من الغزو ، كما حدث معكم ، وسحق كل أثر للتكنولوجيا سحقًا بلا رحمة ، مع إطلاق ذبذبة منتظمة ، لمنع تكوّن فجوة الانتقال ، فى لحظة التماس العظمى ، و ...

قاطعه (نور) فجأة :

- السؤال هو : لماذا توقفتم عن رصد عالمنا ، منذ ألف عام مضت ؟! لماذا لم تدركوا أنه أصبح يمتلك الآن تكنولوجيا متطوِّرة .

صمت الكائن لحظة ، قبل أن يجيب :

- لأن عالمنا قد فنى عن آخره ، ولم يعد له وجود ، منذ ألف عام من أعوامكم .

اتسعت عيون الجميع فى دهشة ، و (سلوى) تتساءل :

- ولكن كيف ؟! إنك تتحدَّث إلينا الآن .

أجابها بنفس الهدوء :

- أنا مجرَّد برنامج معدّ مسبقًا ، وهذا المكان الذى يضمكم ، هو آخر معقل للحضارة والتطوّر فى عالمى ، بعد أن فنينا جميعًا ، إثر وباء طاحن ، لم نجد علاجًا قط .. ولكن لا تقلقوا .. قبل أن ينتهى أمرنا ، أعددنا الـ (ميجالون) ، ليتصدّى لغزو الـ (هور) هذه المرة .. ولآخر مرة .. لأننا نثق بأنكم ستصبحون قادرين على التصدّى للغزوة القادمة ، بعد مليون عام أخرى .

قال (نور) فى صرامة :

ـ هذا يعنى حتمية أن نغادر هذا المكان فورًا ، وأن نعود إلى عالمنا الآن ، حتى يمكننا تحذيره من الغزو القادم .

قال الكائن فى أسف :

ـ أخشى أن هذا مستحيل !

هتفت (سلوى) فى ارتياع :

ـ مستحيل أن نعود إلى عالمنا ؟!

أجابها فى أسف مماثل :

ـ بل مستحيل أن تعادوا إلى عالمكم ، قبل أن يمرّ موعد الغزو ، فالبرنامج الذى أعددناه للحماية ، سيبقيكم فى مأمن هنا ، حتى ينتهى كل الخطر فى عالمكم .

صاح (نور) :

ـ لا بد من تعديل هذا البرنامج الآن .. عالمنا فى خطر .

أجابه الكائن فى هدوء مستفز :

ـ عالمك يحميه الـ (ميجالون) .. وأنتم هنا فى أمان تام ، و ...

قاطعه (نور) فى عصبية :

ـ لو فشل الـ (ميجالون) فى عمله ؟!

أجابه الكائن :

ـ وجودكم هنا يعنى أنه ما زال يعمل بكل كفاءة .

قال (نور) فى حدة :

ـ ألف عام من التطوّر يمكن أن تفعل الكثير .. أكثر مما يمكن لبرنامجكم حسابه ألف مرة .. ماذا لو أن هؤلاء الـ (هور) قد بلغوا قفزة تطورية مباغتة ، خلال هذه الفترة ؟!

قال الكائن فى هدوء :

ـ لو أنهم فعلوا فلن يمكنكم التصدّى لهم أبدًا .

صاح (نور) فى غضب :

- ليس هذا شأنكم .. ربما قمتم بحمايتنا منذ مليون عام ، ولكن هذا لا يعنى أن تفرضوا وصايتكم علينا .. أعيدونا إلى عالمنا ، واتركوا لنا مهمة الدفاع عنه .

صمت الكائن طويلاً هذه المرة ، قبل أن يقول :

- أخشى أن هذا مستحيل تمامًا .. برنامج إعادتكم لن يبدأ ، بأى حال من الأحوال ، إلا بعد أن يمرّ موعد الغزو ، ويتم منع الـ (هور) من الوصول إلى عالمكم .

سأله الدكتور (خالد) فى ذعر :

- وماذا لو أنهم نجحوا فى غزوهم ؟!

أجاب الكائن فى بطء :

- هذا لم يوضع فى البرنامج ، ولو كاحتمال ضئيل .

سألته الدكتورة (ولاء) فى هلع :

- ماذا تعنى ؟!

أجابها فى أسف :

- أعنى أنه لو نجح الغزو ، فستبقون هنا .

هتف أحد العسكرين مستنكرًا :

- نبقى هنا ؟!

أجابه الكائن فى بطء آسف :

- حتى ينتهى الغزو .

اتسعت عيون الكل فى ارتياع ، وتبادلوا نظرة ملؤها الذعر والفزع ، وهتفت (نشوى) :

- يا إلهى ! أبى .

وغمغم أحد العسكريين فى ذعر :

- هل سنموت جوعًا وعطشًا هنا ، لو نجح ذلك الغزو ؟!

وبكت الدكتورة (ولاء) ، هاتفة :

ـ كنت أعلم أننا لن نخرج من هنا أحياء .. كنت أعلم هذا .. كنت أعلم .

أما (نور) ، فلم ينبس ببنت شفة ، وكيانه كله يفكر فيما يواجهه عالمه الآن ، وهو أسير على بعد ملايين السنوات الضوئية منه ..

ومن أعمق أعماقه ، وثب إلى رأسه تساؤل مخيف ..

ما الذى يمكن أن يحدث ، لو نجح الغزو هذه المرة ؟!

ولم يحصل عقله على جواب شاف ، ولكن الاحتمال بدا له مخيفًا ..

ورهيبًا ..

إلى أقصى حد .

* * *

٥ ـ المحاربون ..

« ساعة واحدة من زمن الأرض ، ويبدأ الغزو يا مولاى الإمبراطور .. »

تألقت عينا إمبراطور الـ (هور) ، واشتعلتا كجمرتين ملتهبتين ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة وحشية كبيرة ، عندما نطق قائد قواته العبارة ، وأشار إليه بيده ، قائلاً :

ـ هل استعدَّت القوات كلها ؟!

أجابه القائد فى حزم :

ـ كلنا فى انتظار لحظة التماس العظمى يا مولاى .

غمغم الإمبراطور :

ـ عظيم .

ثم استرخى على عرشه الضخم ، قائلاً :

ـ هل من دلائل على أن (كونار) قد نجح فى مهمته هناك ؟!

هزَّ القائد رأسه ، قائلاً :

ـ لن يمكننا الجزم ، إلا عندما تحين لحظة التماس العظمى يا مولاى .

مطَّ الإمبراطور شفتيه الغليظتين ، وهو يقول :

ـ ليس أمامنا إذن سوى أن ننتظر .

ابتسم قائده ، وهو يقول :

ـ سنفعلها هذه المرة يا مولاى .. (كونار) قائد عظيم ، ولن يسمح بفشل المهمة أبدًا ، مهما كان الثمن .

قال الإمبراطور فى بطء :

ـ المهم ألا يكون قد فشل بالفعل .

ثم استرخى على عرشه الضخم قائلاً :
- هل من دلائل على أن (كونار) قد نجح في مهمته هناك ؟!

هزَّ القائد رأسه ، قائلاً فى ثقة :

ـ لست أعتقد هذا يا مولاى .

ثم شدَّ قامته فى اعتداد ، متابعًا :

ـ نحن شعب محارب يا مولاى ، وأجدادنا العظماء كانوا أفضل محاربين فى الكون ، ونحن مثلهم .. محاربون مقاتلون ، لا يشقّ لنا غبار .

وأشار بيده إلى شرفة القصر الإمبراطورى ، قائلاً :

ـ ألق نظرة واحدة يا مولاى .. ألق نظرة واحدة على جيشك ومحاربيك ، وستدرك أننى على حق .

نهض الإمبراطور من عرشه ، وسار فى مهابة إلى شرفة قصره المنيف ، ولم يكد يبرز فيها ، حتى انطلقت صيحة قوية هادرة ، من حناجر محاربيه ، كادت تشق الفضاء ..

وأمام عينيه الوحشيتين ، تراصت جيوشه إلى مدى البصر ..

محاربون أشداء ، وعتاد قوى ، وأسلحة كافية لسحق كوكب بأكمله ..

وانتفخت أوداج الإمبراطور فى زهو ، وقائده يقول :

ـ مهما بلغت قوة الأرضيين ، لن يمكنهم الصمود أمامنا ليوم واحد .

قال الإمبراطور فى زهو :

ـ أنا واثق من هذا .

ثم استدار إلى قائد جيوشه ، مضيفًا :

ـ المهم أن ننجح فى عبور الفجوة بين العالمين .

قال القائد فى حزم :

ـ سنعبرها يا مولاى .. (كونار) سينجح .

ومال نحو الإمبراطور ، مضيفًا بابتسامة كبيرة :

- ثم إن أمامه ثمانية وأربعين ساعة من زمنهم ، ليمنحنا فرصة العبور إليهم ، حتى لو تجاوز لحظة التماس العظمى .

قال الإمبراطور فى ضيق :

- كل ساعة نفقدها ، تعنى المزيد من القوات ، التى لن تجد فرصة العبور .

قال القائد ، بكل ثقة الدنيا :

- نصف جيوشنا تكفى لسحقهم سحقًا يا مولاى .

التقط الإمبراطور نفسًا عميقًا ، وقال :

- أعلم هذا أيها القائد .. أعلم هذا .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، ملأ به صدره القوى ، وهو يعود إلى عرشه الضخم ، ويستقر فوقه ، قائلاً :

- عندما تصلون إلى عالمهم ، أريد منكم أن تسحقوا كل مقاومة سحقًا ، بلا هوادة أو رحمة .

مطَّ قائده شفتيه ، وهو يقول :

- رحمة ؟! وما الذى تعنيه كلمة الرحمة هذه يا مولاى الإمبراطور ؟!

تألَّقت عينا الإمبراطور بوحشية ، وهو يقول :

- أريد نصرًا ساحقًا ، يتحدَّث ، عنه الكون كله .. نصرًا يعيد أمجاد جنس الـ (هور) .. إلى الأبد .

قالها ، وعيناه تلتمعان ببريق مخيف ..

بريق كاللهب ..

أو كالدم ..

* * *

بدا التوتر الزائد على وجه (رمزى) ، وهو يقف داخل تلك القاعة الصغيرة ، فى مبنى الحرس الجمهورى ، متطلّعًا إلى ذلك الفريق الخاص ، المكوّن من عشرة رجال ، والذى جمعه السيّد (أمجد صبحى) ، من بين رفاقه القدامى ، الذين انتخبهم هو شخصيًا ، بعد أن فحص ملفاتهم ، وراجع كل تقاريرهم النفسية السابقة ..

وعلى الرغم من ثقته الشديدة بالسيّد (أمجد) وقدراته ، وخبراته طوال تاريخه الحافل ، إلا أنه لم يشعر بالارتياح قط ..

فكل من يقف أمامه من الفريق الخاص ، كان يتجاوز الخمسين من العمر على الأقل .. كلهم بدت عليهم علامات الكهولة وكبر السن ..

فكيف يمكن لهم التصدّى لشيطان ينتحل شخصية رئيس الجمهورية ؟!

شيطان من عالم آخر ، فشل الرائد (أيمن) ، الذى تحولّ إلى سلاح سرى شبه آلى ، فى التصدّى له وإيقافه !

كيف ؟!

كيف ؟!

حاول عبثًا أن يخفى توتره فى أعماقه ، إلا أن مشاعره فشلت تمامًا فى الانزواء خلف واقعه ، فمال على (أمجد) ، يسأله فى عصبية :

- أأنت واثق من أن هذا هو الفريق المناسب ؟!

ابتسم (أمجد) ، قائلاً فى ثقة :

- اطمئن .

أطلق (رمزى) من أعمق أعماق صدره زفرة حارة ، مغمغمًا :

- إننى أحاول .

منحه (أمجد) ابتسامة واثقة أخرى ، قبل أن يلتفت إلى فريقه ، قائلاً بلهجة حازمة ، جعلته أشبه بقائد عسكرى ، يهمّ بخوض معركة حاسمة :

- والآن يا رفاق ، حانت اللحظة الحاسمة .. لحظة القتال من أجل الوطن .. وربما من أجل العالم كله هذه المرة .. قتالنا هذه المرة سيكون ضد رئيس الجمهورية ، من أجل رئيس الجمهورية .. لقد أخبرتكم أن الشخص ، الذى سنقاتله هذه المرة ، يبدو أشبه بالرئيس ، من الناحية الظاهرية فحسب ، أما الرئيس الحقيقى ، فنحن نجهل مصيره ، حتى هذه اللحظة .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف بمنتهى الحزم :

- هذه المعركة ربما تكون الأخيرة ، فى تاريخ وحياة كل منا .. والمواجهة تختلف عن كل المواجهات السابقة ، فى حياتنا كلها ، ففى هذه

المرة سنقاتل ، ونحن نجهل كل شىء تقريبًا ، عن قدرات العدو وقوته .. كل ما نعرفه عنه هو أنه شخص واحد .. ومن عالم آخر .

سرت بينهم همهمة مبهمة ، فتابع بنفس الحزم :

- وكما كنا نفعل دائمًا ، سنحسم أمرنا قبل أن تبدأ المواجهة .. كل من يرغب فى الانسحاب عليه أن يفعل الآن ، وليس فيما بعد .

رفعوا قبضاتهم المضمومة أمام وجوههم ، وقالوا فى صوت واحد :

- كلنا معك .

أجاب فى هدوء حازم :

- عظيم .. فى هذه الحالة فلنستعد جميعًا للمهمة .. لقد راجعت الموقف كله بنفسى ، ووجدت أن طاقم الحراسة ، الذى يدافع عن مبنى

وزارة الدفاع ، حتى هذه اللحظة ، هو طاقم أمن الوزارة نفسها ، لذا فمن الطبيعى ، مع وجود رئيس الجمهورية بالداخل ، أن يتم استبدال هذا الطاقم بطاقم خاص من الحرس الجمهورى ، وأنتم ترتدون الآن الزى الخاص بالحرس الجمهورى .. كل ما عليكم هو ارتداء الخوذات الواقية ، لإخفاء ملامح الوجه .

غمغم أحدهم :

- ولإخفاء أعمارنا أيضًا .

تجاهل (أمجد) العبارة تمامًا ، وهو يواصل :

- كلنا سنحمل أسلحة تقليدية ، كما اعتدنا طيلة أعمارنا ، وعندما يصبح المكان تحت سيطرتنا فعليًا ، سننقسم إلى فريقين ، فريق سيقوم بالهجوم من المدخل الرئيسى ، والفريق الثانى سيتسلَّل عبر نفق الهروب ، ليقوم بهجوم داخلى مباغت .

سأله أحدهم فى توتر :

- وهل نطلق النار على الرئيس .. أعنى ذلك الذى ينتحل صفته وهيئته ؟!

صمت (أمجد) بضع لحظات ، قبل أن يقول فى حزم :

- هذا يتوقَّف على مقاومته .

سأله آخر :

- بمعنى ؟!

رفع (أمجد) سبَّابته أمام وجهه ، قائلاً :

- هذا الكائن لم يأت إلى هنا ، وينتحل شخصية رئيس الجمهورية ، إلا لهدف أكبر ، ولو أننا قضينا عليه ، فسنفقد معه كل المعلومات والحقائق ، وكل ما يمكن أن يقودنا إلى أهدافه ، وأهداف من خلفه ، لذا فستتركز جهودنا على إلقاء القبض

عليه حيًا ، أو مصابًا على الأكثر ، ولكن لو كانت مقاومته عنيفة ، إلى حد قد يمنينا بالهزيمة ، فلن يكون هناك مفرّ من قتله .. وبلا رحمة .

سأله أحد الرجال :

- وما دورك أنت يا سيّد (أمجد) ؟! أى الهجومين ستقود ؟!

أجابه (أمجد) فى حزم :

- الشىء الذى لاحظته بنفسى ، عندما التقيت به فى المرة الأولى ، هو أنه يراقب مداخل ومخارج المبنى ، عبر شبكة من شاشات الرصد طوال الوقت ، وعملية استبدال طاقم الحراسة هذه ستلفت انتباهه حتمًا ، ومهمتى هى أن أزيل شكوكه ، وأصرف نظره عن شاشات الرصد ، حتى يبدأ الهجوم من محوريه .

ثم عاد يشدّ قامته ، قائلاً :

- هل من أسئلة أخرى ؟!

تبادل الرجال نظرة صامتة ، ثم قال أحدهم :

- كلنا على أهبة الاستعداد .

ألقى (أمجد) نظرة على ساعته ، وقال :

- الساعة الآن الحادية وعشر دقائق بالضبط ..

اضبطو ساعاتكم للحفاظ على دقة التوقيت .. سننطلق فورًا ، وسنبلغ مبنى وزارة الدفاع الجديد فى الحادية عشرة وسبع وعشرين دقيقة ، وعملية تغيير الطاقم ستستلزم ما بين عشر وخمس عشرة دقيقة ، وسيبدأ الهجوم فى الثانية عشرة إلا عشر دقائق بالضبط .

اتجه الكل إلى الحوّامة ، التى تنتظرهم فى المهبط الخاص ، والتى تحمل شعار الحرس الجمهورى ، فى حين التفت (أمجد) إلى (رمزى) ، وسأله فى اهتمام :

ـ هل تعتقد أنهم سيقاتلون ، بنفس الحماس القديم ؟!

صمت (رمزى) لحظة ، قبل أن يجيب فى حزم :

ـ نعم .

بدا ارتياح غامر على وجه (أمجد) ، وهو يغمغم :

ـ عظيم .

ثم لحق بالرجال عند الحوَّامة ، ولوَّح بيده بدوره ، وتابع ببصره الحوَّامة وهى ترتفع ، متجهة نحو وزارة الدفاع ، وهو يشعر بتوتر عنيف فى أعماقه ، التى يتردَّد فيها سؤال واحد ..

تُرى هل يكفى ذلك الفريق لحسم الأمر ؟!

هل ؟!

* * *

لم تستغرق تلك الاشارة ، التى بثتها ساعة القائد الأعلى ، سوى خمس ثوان فحسب ، بعد خروجها من تلك الكرة ، وتمدُّدها إلى حجمها الطبيعى ..

ولكن تلك الثوانى الخمس كانت تكفى ، لتصل الإشارة إلى مركز الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية ..

وإلى الدكتور (جلال) مباشرة ..

ولم يكد الرجل يتلقَّى الإشارة ، حتى رفع ساعته إلى شفتيه فى لهفة ، وضغط زرها ، هاتفًا :

ـ هنا الدكتور (جلال) .. لقد تلقيت الإشارة .. أين أنت أيها القائد ؟! أين أنت ؟!

قبل حتى أن يكتمل هتافه ، كانت الإشارة قد توقَّفت ، وانقطعت تمامًا ..

وهذا لا يحدث إلا فى حالة واحدة ..

أن تتلف ساعة الاتصال ..

أو تتحطَّم ..

وانعقد حاجبا الدكتور (جلال) فى شدة ، وقلبه يخفق فى عنف ..

تُرى ماذا يحدث هناك ؟!

فى وزارة الدفاع ..

لماذا تحولَّت إلى منطقة عدم ، تبتلع كل من يذهب إليها ؟!

لماذا ؟!

سلاحه السرى الفائق ، الذى كان يدخره لمواجهة أكثر عنفًا ، لم يمكنه الصمود هناك ..

وكل ما يتلقاه منه الآن مجرَّد إشارة باهتة ضعيفة ، توحى بأنه قد تحطَّم أو انهار بدوره ..

فما الذى يمكن أن يفعله الآن ؟!

صحيح أنه مدير مركز الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية ، إلا أنه لا يمتلك ، من الناحية الرسمية ، سلطة إصدار أية قرارات عسكرية أو سياسية ..

وكل أصحاب هذه القرارات اختفوا ..

ابتلعتهم منطقة العدم ، فى وزارة الدفاع ..

فماذا يمكن أن يفعل ؟!

ماذا ؟!

ماذا ؟!

كانت الأفكار تجرى فى رأسه ، وهو يتطلَّع إلى تلك الإشارة الباهتة الضعيفة ، التى تستقبلها الأجهزة الخاصة بمتابعة الرائد (أيمن) ، السلاح السرى شبه الآلى ..

ثم فجأة ، قفزت الفكرة إلى رأسه ..

وقفز هو من مقعده ..

وبوثبة واحدة ، بلغ جهاز الاتصال الداخلى ، وضغط أزراره فى سرعة ، هاتفًا بكل انفعاله :

- أريد الدكتور (كمال) فورًا .

أجابه شخص ما :

- الدكتور (كمال) انصرف إلى منزله فى العاشرة .

هتف الدكتور (جلال) :

- أحضره فورًا .. أرسل من يأتى به من منزله .. أريده فى مكتبى خلال عشر دقائق .

أجابه الرجل فى توتر :

- ولكن يا سيدى .

صاح به فى عنف :

- لا يوجد لكن .. نفذ الأمر فورًا .

قالها وأنهى الاتصال ، وعاد يتابع تلك الإشارة الباهتة ، والفكرة تدور فى رأسه ، وتختمر أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

والواقع أنها لم تكن مجرَّد فكرة عبقرية فحسب ..

لقد كانت تحمل أملاً جديدًا ..

وأخيرًا ..

★ ★ ★

« لن نستسلم لهذا أبدًا .. »

هتف (نور) بالعبارة ، فى توتر بالغ ، وهو يتحرَّك داخل تلك القاعة البيضاء الكبيرة كالليث الحبيس ، متابعًا :

- لن نبقى أسرى هنا ، وعالمنا يواجه الخطر فى الخارج .

قال الكائن الأبيض فى هدوء :

لستم أسرى هنا .. أنتم ضيوف تحت حمايتنا ، حتى يزول الخطر عن عالمكم .

صاح (نور) فى غضب :

- ومن قال إننا نقبل هذه الوصاية ؟!

قال الكائن بنفس الهدوء المستفز :

- صدقنى إن ..

قاطعه (نور) فى حدة :

- إننا نرفض .

ثم لوَّح بيده ، مستطردًا فى غضب :

- لو أننا ضيوف ، ولسنا أسرى ، فهذا يعنى أنه من حقنا أن نحدِّد مصيرنا كيفما شئنا ، وأن نعود إلى عالمنا وقتما نشاء ، لذا فنحن نطالبكم بإعادتنا فورًا .

صمت الكائن بعض الوقت ، ثم قال :

- منطقك سليم للغاية .

هتف (نور) :

- عظيم .

ولكن الكائن استدرك فى سرعة :

- ولكن المشكلة أن ما تطلبه مستحيل تمامًا .

سألته (نشوى) فى قلق :

- ولماذا مستحيل ! ألم يضع برنامجكم هذا فى اعتباره أيضًا ؟!

قال الكائن ، بصوت يغلب عليه الأسى :

- بلى للأسف .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، فى حين هتفت (سلوى) مستنكرة :

- أى برنامج قاصر هذا ؟! أى مبرمج عادى ، لا بد أن يضع كل الاحتمالات فى ذهنه .

أجابها بلهجة أشبه بالاعتذار :

- لا تنسى أن هذا البرنامج معدّ منذ ألف عام من أعوامكم .

هتفت :

- أهذا مبرِّر ؟!

أجابها بنفس اللهجة :

- بالطبع ، لو أدركت أن آخر مرة رصدنا فيها عالمك ، لم يكن هناك ما يوحى بأنكم سترغبون فى العودة ، لمواجهة خطر داهم كهذا ، ولم يكن مستوى تقدّمكم يوحى بقدرتكم على التصدّى لغزو الـ (هور) قط .. ويبدو أنكم على حق ، فى نقطة لم ننتبه إليها أبدًا .. ألف عام من التطوّر تعنى الكثير .. ولكن عذرنا الوحيد هو أن الفناء لم يكن بالحسبان أيضًا ، ولم نتصوَّر أننا سنترك خلفنا برنامجًا قاصرًا كهذا .

قالت (نشوى) فى توتر :

- ارشدنا إذن إلى وسيلة تعديله ، وسنبذل قصارى جهدنا ، و ..

قاطعها هو هذه المرة :

- مستحيل !

هتف (نور) :

- لماذا تتصوَّر أنه مستحيل ؟! ألم تقل بنفسك إن ألف عام من التطوّر تفعل وتعنى الكثير ؟! من أدراك أننا لن ننجح فى هذا ؟!

أجابه الكائن فى هدوء :

- ليس لدى أدنى شك فى أنكم قادرون على فعل ما يزيد بأضعاف مضاعفة ، عما تصورناه عنكم ، وقت إعداد هذا البرنامج ، ولكن المشكلة الحقيقية هى أننى لست كائنًا حيًّا ، وإنما أنا جزء من البرنامج نفسه ، يمكنه التفاعل معكم طوال الوقت ، باستخدام تكنولوجيا تحتاجون إلى أجيال وأجيال لفهمها ، وبرنامجى ، على الرغم من قدراته التفاعلية اللا محدودة ، لايحوى تفاصيل البرمجة أو التعديل ، كما أن التكنولوجيا التى نستخدمها ، ما زالت تفوق إدراككم بكثير .. كثير جدًا .

سألته (نشوى) فى تحدٍّ :

- وماذا لو حاولنا نحن ؟!

أجابها فى سرعة :

- البرنامج مزوَّد بإجراء دفاعى خاص .

سأله (نور) ، فى قلق حذر :

- وماذا سيفعل ذلك الإجراء الدفاعى الخاص ، إذا ما حاولنا ؟!

أجابه الكائن فى بطء :

- هذا البرنامج مكوَّن من شقين .. أحدهما يخص عملية منع الـ (هور) من فتح الفجوة بين العالمين ، عندما تحين لحظة التماس العظمى ، والآخر يختص بالتعامل معكم وإعادتكم إلى عالمكم ، لو فشل الغزو ، وفى حالة تدخلكم ، سيستمر الشق الأوَّل فى مهمته ، وسينفصل الشق الثانى تمامًا .

سأله أحد العسكريين فى قلق شديد :

- وما الذى يعنيه هذا ؟!

أجابه الكائن :

- يعنى أنكم ، لو أفسدتم البرنامج ، فستظلون هنا .. سواء نجح الغزو أو فشل .. سيحتجزكم البرنامج هنا .. إلى الأبد .

وكان جوابًا رهيبًا بحق ..

جواب يعنى أن الضياع هو مصيرهم المحتوم .. فى كل الأحوال .

* * *

٦ ـ عقل من الأرض ..

كل شىء ، استعاده عقل (نور) من البداية ..

كل شىء ..

العمالقة الرملية العاتية ، التى تنهض من العاصفة ، لتقتلع كل شىء من أساسه .

واستدعاء وزير الدفاع لهم ..

وجهوده مع (سلوى) و(نشوى) لكشف السر ..

ثم ذهابهم إلى الصحراء ، مع المدرَّعة (صلب) ..

وبدء عمل المسبار الموجى (م م ـ ١) ..

كل شىء ، راح عقله يسترجعه ، ويفحصه ، ويدرسه ، وهو جالس هناك ، فى ركن تلك القاعة البيضاء الواسعة ..

جنس الـ (موك) أعدَّ لكل شىء عدته ..

إلا التطوّر ..

والاندثار ..

من الواضح أن فناءهم جاء سريعًا للغاية ، حتى إنه لم يمهلهم فرصة إعادة البرمجة ، أو إضافة أية معلومات جديدة ..

كل ما حرصوا عليه ، هو منع الـ (هور) من غزو الأرض ..

والسيطرة على ذلك الجزء من الكون ..

ولكن جنس (هور) هذا ، احتلّ بالفعل أماكن عديدة من الكون ، دون أن يتصدّى لهم شعب (موك) ..

فلماذا هذا القتال على (الأرض) بالتحديد ؟!

لا ريب فى أن من يسيطر عليها سيمتلك قـوة هائلة ..

أو موقعًا كونيًا متميزًا ..

أو أن الأرض تمنح الجانبين فرصة للمـرور ، خلال أكبر عدد من البوّابات الكونية عبر العوالم ..

وشعب (موك) يحاول منع هذا من الحدوث ..

وإنقاذ أى بشرى فى المنطقة أيضًا ..

ولكن ..

« هناك خطأ ما .. »

هتف (نور) بالعبارة بغتة ، فى انفعال شديد ، جعل الكل يلتفت إليه فى دهشة متوترة ، وقـالت (سلوى) ، وهى تتجه إليه فى قلق :

ـ ماذا هناك يا (نور) ؟!

نهض (نور) ، مكررًا فى حزم :

ـ هناك خطأ ما ، فى كل ما يحدث هنا .

سأله أحد العسكريين فى قلق شديد :

ـ ما الخطأ يا سيادة المقدّم ؟!

أجابه (نور) فى توتر :

ـ أنتم هنا منذ فترة طويلة ، دون أن يهتم أحد بتقديم الطعام أو الشراب لكم ، على الرغم من أنهم يراقبوننا منذ آلاف السنين ، وهم يعلمون أننا لسنا جنسًا هوائيًا .

سألته (نشوى) :

ـ وما الذى يعنيه هذا يا أبى ؟!

أجاب فى سرعة :

ـ يعنى أن خطة شعب (موك) كلها لم تفترض وجود البشر ، فى منطقة التماس ، باعتبار أنها

منطقة صحراوية مقفرة ، ليس فيها ما يُغرى البشر بالعمل أو الاستيطان .. باختصار .. البرنامج ليست لديه أية قواعد لإعاشة البشر أو إعادتهم إلى عالمهم ، سواء بعد الغزو أو قبله .

اتسعت العيون فى ارتياع ، وهتفت الدكتورة (ليلى) فى رعب :

- ماذا تعنى ؟! هل سنموت هنا ؟!

وهتف رجل جيش :

- هل سنقضى نحبنا جوعًا وعطشًا ؟!

قال (نور) فى حزم :

- هذا مصيرنا جميعًا .

قال الدكتور (خالد) فى عصبية :

- ولكن لماذا ؟! لماذا أحضرونا إلى هنا ، لو أن هذا يخالف خطتهم ؟!

أجابه (نور) :

- لأننا ظهرنا فى موقع الأحداث ، فى اللحظة غير المناسبة ، وكان من الضرورى التأكُّد من هويتنا ، ومما إذا كنا بشرًا أرضيين حقًّا ، أم ننتحل هذه الصفة .

سأله رجل آخر :

ألم يكن من الممكن كشف هذا ، دون نقلنا إلى عالمهم ؟!

قال (نور) فى حزم :

- الأمر لم يكن يقتصر على كوننا بشرًا فحسب ، وإنما يمتدّ إلى التيقن من أننا لسنا نعمل لحساب جنس (هور) أيضًا .. ولقد لاحظتم جميعًا أنه ، فى أثناء انتقالنا إلى هنا ، كانت كل أفكارنا وذكرياتنا تنساب عبر عقولنا ، ولقد تصوَّرنا أن هذا أمر طبيعى ، مع وسيلة الانتقال الفائقة هذه ،

ولكن الواقع أنها كانت وسيلة لفحص حقيقتنا من الأعماق ، وسيلة أشبه بجهاز كشف الكذب عندنا ، ولكنها أكثر تطورًا

قالت (نشوى) :

ـ هل تعنى أن أحدًا لن ينال بحياتنا أو موتنا هنا ؟!

أجابها فى حدة :

ـ نعم .. أعنى هذا تمامًا .. أعنى كل حرف منه .. ربما كان شعب (موك) ليس مقاتلاً ، إلا أن هذا لا يعنى أنه لا يمتلك ميولاً استعمارية أو شريرة .

تدخّل الكائن الأبيض فى هذه اللحظة ، قائلاً :

ـ لسنا شعبًا محاربًا .

قال (نور) فى صرامة :

ـ ربما ، ولكن الحرب والقتال ليسا الصورة الوحيدة للاستعمار .. فهناك استعمار حضارى .. واستعمار اقتصادى .. واستعمار فكرى أيضًا ..

قال الكائن فى هدوء :

ـ هل تعتبر حمايتنا لعالمك نوعًا من الاستعمار ؟!

قال (نور) فى حزم :

ـ إنكم تحاولون منع (هور) من احتلال عالمى ، ولكن ربما لايكون هذا من أجل حمايته .

قال الكائن ، فى هدوء يحمل رنة ساخرة :

ـ ماذا يمكن أن يكون إذن ؟!

أجابه (نور) :

ـ أى شىء آخر .. فالشعب الذى يسعى لحماية عالم كامل من الاحتلال ، بوساطة عالم آخر ، لن يضع برنامجًا يتجاهل تمامًا حياة أفراد هذا العالم ، إلا إذا ..

قال الكائن فى هدوء :

- هل تعتبر حمايتنا لعالمك نوعًا من الاستعمار ؟!

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، كما لو أنه قد انتبه إلى أمر ما لأوَّل مرة ، فى حين قال الكائن ، بنفس الهدوء الساخر :

- إلا إذا ماذا ؟!

رفع نور عينيه إليه ، فى عزم شديد ، وهو يجيب بثقة مدهشة :

- إلا إذا كان مصير العالم نفسه أكثر أهمية ، من مصير من يحيا على سطحه

انعقد حاجبا (سلوى) ، وهى تحدِّق فيه بدهشة ، واتسعت عينا (نشوى) ، وكأنما فهمت ما يعنيه ، فى حين تبادل الآخرون نظرة مذعورة ، قبل أن يسأل أحد العسكريين :

- أى معنى مخيف تحمله كلماتك يا سيِّدى ؟!

أجابه (نور) فى عزم :

ـ المعنى واضح يا رجل .. إن الهدف الحقيقى لشعب (موك) ليس حماية الأرض من احتلال جنس (هور) ، وإنما منع حدوث هذا الاحتلال .

سألته الدكتورة (ولاء) فى حيرة متوترة :

ـ وما الفارق ؟!

أجابها ، وهو يشدّ قامته فى قوة :

ـ الفارق كبير جدًا ، ويضعنا أمام سلسلة جديدة من الاحتمالات ، فربما لم تكن الأرض هدفًا نهائيًا لشعب (هور) .. ربما هى مجرّد محطة ، أو نقطة انطلاق إلى هدف آخر .

سألته (نشوى) :

ـ مثل ماذا ؟!

راح يتحرّك فى المكان ، ويقول ، وكأنما يحدّث نفسه :

ـ دعونا نفترض أن هذا الهدف الآخر يرتبط ارتباطًا وثيقًا بشعب (موك) ، وإلا ما سعى لمنع جنس (هور) من احتلال الأرض ، وهذا يقودنا إلى افتراض آخر أكثر خطورة .

سأله الدكتور (خالد) :

ـ وما هو ؟!

توقّف (نور) فى مكانه ، وقال بكل الحزم ، وهو يتطلّع إلى صورة ذلك الكائن الأبيض فى تحد :

ـ أن شعب (موك) لم يتعرَّض للفناء حقًا ، وإنما اضطر ، مع الوباء الساحق ، إلى الانتقال بكل هيئته ، إلى عالم آخر .. عالم لا يمكن لجنس (هور) بلوغه ، إلا من خلال كوكب الأرض .

ثم أطلّت موجة عارمة من التحدّى من عينيه ، وهو يواجه الصورة الضبابية المجسَّمة ، قائلاً :

- قل لى يا هذا : هل كان استنتاجى صحيحًا ؟!

صمت الكائن طويلاً هذه المرة ، قبل أن يجيب :

- إلى حد مدهش .

شهقت الدكتورة (ليلى) ، واتسعت عيون الآخرين فى ارتياع ، وانعقدت حواجب العسكريين فى شدة ، فى حين التصقت (نشوى) و(سلوى) بـ (نور) وكأنما تجدان عنده الأمان والحماية ، فى حين تابع الكائن الأبيض ، وقد اكتسب هدوؤه رنة غير مريحة هذه المرة :

- وتوصلك إليه ينقل البرنامج إلى نقطة ، لم أكذب عليكم بشأنها يا سادة .

سأله أحد العسكريين فى توتر :

- وما هى ؟!

أجابه فى صرامة مباغتة :

- الإجراء الدفاعى الخاص .

ومع آخر حروف كلماته ، تموَّجت جدران القاعة على نحو عجيب ..

ثم برزت منها عدة مناطق متناثرة ..

وبسرعة مدهشة ، تشكَّلت تلك المناطق البارزة ، وظهرت لها أطراف عديدة ، قبل أن تنفصل فجأة عن الجدار ..

واتسعت عيون الكل فى دهشة مذعورة ..

فتلك الأجسام ، التى انفصلت عن الجدران ، تحولت إلى كائنات شبه بشرية ..

كائنات مخيفة وحشية ..

للغاية ..

* * *

حملت كل لمحة ، فى كيان الدكتور (كمال) ، كل توتر ولهفة وانفعال الدنيا ، وهو يدلف إلى معمل الدكتور (جلال) ، قائلاً :

ـ أوامرك يا دكتور (جلال) .. لقد طلبوا منى الـ ..

قاطعه الدكتور (جلال) فى توتر :

ـ تعال يا دكتور (كمال) .. ألق نظرة على هذا .

أسرع إليه الدكتور (كمال) ، وألقى نظرة على الإشارة الباهتة ، فى اهتمام بالغ ، قبل أن يهتف :

ـ رباه ! كيف وصلت الأمور إلى هذا الحد ؟!

ثم التفت إليه ، مستطردًا فى ذعر :

ـ ماذا أصاب سلاحنا السرى ؟!

سأله الدكتور (جلال) فى توتر :

ـ هل يمكنك إصلاح هذا ؟!

قال الدكتور (كمال) فى انفعال :

ـ دعنا نلقى نظرة على فداحة الإصابة ، و ..

قاطعه الدكتور (جلال) :

ـ هذا ليس متاحًا .

حدَّق فيه الدكتور (كمال) بدهشة ، قبل أن يتساءل :

ـ ولماذا ؟!

التفت إليه الدكتور (جلال) بجسده كله ، قائلاً فى حزم :

ـ الرائد (أيمن) خرج فى مهمة سرية ، ومن الواضح أنه قد تعرَّض فيها لإصابة فادحة ، ونحن نجهل أين هو بالضبط ، ولكن هذه الإشارة ،

على الرغم من ضعفها ، توحى بأنه ما زال صالحًا للعمل .

قال الدكتور (كمال) فى انفعال :

ـ وأن الجزء البشرى منه ما زال على قيد الحياة .

هتف الدكتور (جلال) :

ـ بالضبط .

ثم مال نحوه ، متسائلاً :

ـ والآن ، هل يمكننا إصلاح التلف من هنا ، باستخدام برنامج الإصلاح عن بُعد(*)

انعقد حاجبا الدكتور (كمال) ، وهو يغمغم :

ـ إننا نجهل مقدار التلف .

(*) برنامج الإصلاح عن بعد : هو برنامج خاص ، يتم تزويد سفن الفضاء ، وأجهزة الكشف والاختبار فيها به ، بحيث يمكن إصلاح أية أعطال تنشأ فيها ، عند هبوطها على كوكب ما ، بوساطة الخبراء فى مركز المراقبة الأرضى .

ثم اعتدل على مقعده ، واستطرد فى حزم :

ـ ولكن يمكننا أن نحاول .

قال الدكتور (جلال) :

ـ المهم أن نفعل هذا فورًا .

خلع الدكتور (كمال) سترته ، وعلَّقها على مقعد قريب ، ثم جذب مقعدًا آخر ، وجلس فى مواجهة أجهزة التتبُّع ، قائلاً :

ـ بالتأكيد .

وبسرعة وتناسق ، راح الرجلان يعملان معًا ، فى محاولة لاستعادة السيطرة على الرائد (أيمن) ..

السلاح السرى ..

* * *

لم تكد حوَّامة الحرس الجمهورى تهبط ، فى ساحة وزارة الدفاع ، حتى تحفز طاقم الحراسة الخاص بالمكان ، وتأهَّب بأسلحته ، وقال قائده فى صرامة :

ـ استعدوا جميعًا .. سنطلق النار عند أية محاولة أو بادرة للشك .

كان التحفُّز يسرى فى كل ذرة من كيانه ، حتى رأى (أمجد) يهبط من الحوَّامة ، فقال فى شىء من الدهشة :

ـ السيِّد (أمجد) ؟!

اتجه إليه (أمجد) مباشرة ، فى خطوات واثقة قوية ، وهو يقول بابتسامة هادئة بسيطة :

ـ مساء الخير يا رجال .. هيا .. لقد انتهى عملكم هنا .. سنتسلَّم مهمة الحراسة ، اعتبارًا من هذه اللحظة .

انعقد حاجبا قائد طاقم الحراسة فى شدة ، وهو يقول :

ـ تتسلمون مهمة الحراسة ؟! كيف يا سيِّد (أمجد) ؟! إننا نتولَّى الحراسة هنا رسميًا ، ولم نتلقَّ أمرًا بالانسحاب .

أشار (أمجد) إلى فريقه بالهبوط والانتشار ، وهو يقول فى هدوء ، وبلهجة صارمة آمرة :

ـ ها أنتذا تتلقَّى الأمر ، من المستشار الأمنى الخاص لرئيس الجمهورية ، وبناءً على المادة رقم سبعة ، من البند السابع عشر ، من لائحة الأمن القومى ، والتى تؤكِّد أنه فى حالة استقرار السيِّد رئيس الجمهورية ، فى مكان ما ، لأكثر من خمس ساعات ، لابد أن تتم حراسته ، بوساطة الحرس الجمهورى وحده ، وإعفاء أطقم الأمن الأخرى من هذه المهمة ، فور تسلَّم رجال الحرس مهمتهم .

بدا التوتر على وجه قائد طاقم الحراسة ، وهو يقول :

ـ الواقع يا سيِّد (أمجد) ..

قاطعه (أمجد) فى صرامة :

- الواقع أنك ستنفذ الأمر فورًا ، وسأسلمك أمرًا رسميًا بهذا ، وأى اعتراض أو تأخير فى تنفيذ هـذا الأمر سيعرِّضك للمحاكمـة العسـكرية ، بتهمـة تعريض أمن وسلامة رئيس الجمهورية للخطر ، بنـاءً علـى المـادة التاسـعة ، مـن البنـد الخـامس عشر .

امتقع وجـه قائد طاقم الحراسـة ، وهو يـؤدى التحية العسكرية ، قائلاً :

- ما دمت سـأحصل علـى أمـر رسـمى ، فأنـا رهن إشارتك يا سيِّد (أمجد) .

ثم التفت إلى رجاله ، هاتفًا :

- انتهت نوبـة العمل .

وأدَّى التحية العسكرية مرة أخرى ، قائلاً :

- أتمنى لكم حظًـا أفضـل يـا سيِّد (أمجـد) ، فهذه الليلة لا تبدو عادية أبدًا .

غمغم (أمجد) :

- بالتأكيد .

بـدأ طـقم الحراسـة الخاص بالوزارة ينسحب ، ليحلَّ محله أفـراد فريق (أمجـد) ، الذين يرتـدون زى رجال الحرس الجمهورى ،واقترب (حـاتم) من (أمجد) ، هامسًا :

- من الجيِّد أنك قد تذكَّرت المادة السابعة تلك ، فى الوقت المناسب .

ابتسم (أمجد) ، هامسًا :

- لا وجود إطلاقًا لتلك المـادة ، فى لائحة الأمن القومى .

ثم اتسعت ابتسامته ، وهو يضيف :

- ولكنه لا يعلم هذا .

ارتفع حاجبا (حاتم) لحظة ، ثم لـم يلبث أن أطلق ضحكة محدودة ، قائلاً :

- مرحى .. يبدو أننا سنستعيد الأيام الخوالى بالفعل .

ابتسم (أمجد) ، وتابع حركة تسليم مواضع الحراسة بضع لحظات ، قبل أن يتجه بنفس الخطوات الثابتة إلى حجرة الرصد ، حيث يجلس (كونار) ..

كان - على الرغم من خبراته السابقة - يشعر بتوتر بالغ ، وهو يستعد لتلك المواجهة ، التى لاتشبه أية مواجهات أخرى ، فى تاريخه كله ..

ففى هذه المرة ، سيواجه خصمًا مجهولاً ..

تمامًا ..

وهذا يختلف عن كل ما اعتاده فى حياته السابقة كرجل مخابرات ، يجمع فى المعتاد أكبر قدر ممكن من المعلومات ، قبل أن يواجه خصمه ..

إنها ليست أوّل مواجهة له ، مع كائنات من عوالم أخرى(*)..

(*) راجع قصة (الغزاة) .. المغامرة رقم (١٢٤) .

ولكنه أكثرها غموضًا ..

وهو لا يدرى كيف ستسير الأمور ..

إنه لا يجازف بحياته وحدها هذه المرة ..

وإنما بحياة رفاق الماضى أيضًا ..

وهذا أكثر ما يزعجه ..

ويقلقه ..

ولكنه يعلم أن مصير عالم بأكمله قد يتوقَّف على هذه المواجهة ..

وهذا هو أخطر ما فى الأمر ..

ومن أجل هذا ، لا بد أن يقاتل ورفاقه حتى آخر نفس فى صدورهم ..

وآخر قطرة دم فى عروقهم ..

توقَّف لحظة ، عند باب حجرة الرصد ، ليملأ صدره بنفس عميق ، قبل أن يدقّ الباب مرتين ، ثم يدلف إلى المكان ..

استدار إليه (كونار) بنظرة نارية ، وهو يسأل شخص ما ، عبر جهاز اتصال داخلى محدود :

- هل انتهى البرنامج بالفعل ؟!

أتاه صوت الرجل ، يقول فى ثقة :

- كل شىء على ما يرام يا سيادة الرئيس .. سيبدأ البرنامج عمله ، فى منتصف الليل بالضبط .

تجاهل (كونار) وجود (أمجد) ، وهو يسأل الرجل ، فى اهتمام شديد :

- أأنت واثق من أنه سيؤدى المطلوب منه بكل دقة ؟!

أتى صوت الرجل أكثر ثقة ، وهو يجيب :

- تمام الثقة يا سيادة الرئيس .. لقد جنَّدت كل إمكانياتنا للقيام بهذا العمل .

غمغم (كونار) فى ظفر وارتياح :

- عظيم .

انعقد حاجبا (أمجد) ، فى توتر شديد ، وهو يتساءل : تُرى ما الذى سيحدث ، فى منتصف الليل تمامًا ..

ما الذى جنَّد له هذا الكائن الغريب ، كل إمكانيات (مصر) العلمية والعسكرية ؟!

إنه حتمًا ليس أمرًا جيِّدًا ..

على الإطلاق ..

قطع (كونار) أفكاره ، عندما أنهى الاتصال ، وأدار عينيه إليه فى صرامة نارية ، وهو يقول :

- ماذا فعلت بالضبط ، أيها المستشار الأمنى ؟!

بدا (أمجد) هادئًا واثقًا ، على الرغم من كل التوتر فى أعماقه ، وهو يقول :

- وماذا فعلت يا سيادة الرئيس ؟!

سأله (كونار) فى صرامة وحشية :

- لماذا استبدلت طاقم الحراسة ؟!

هزَّ (أمجد) كتفيه ، قائلاً :

هذا أمر طبيعى يا سيادة الرئيس .. من الخطأ أن يتولَّى طاقم حراسة وزارة الدفاع الـ ..

قاطعه (كونار) فى شراسة :

- دعنا لا نضيع الوقت .

سأله (أمجد) فى حذر :

- ماذا تعنى يا سيادة الرئيس ؟!

قال (كونار) فى وحشية ساخرة :

- ودعنا نوقف هذه التمثيلية الهزلية أيضًا .

انعقد حاجبا (أمجد) ، وهو يسأله :

- أية تمثيلية ؟!

اتسعت عينا (كونار) على نحو مخيف ، وهو يميل نحوه ، قائلاً :

- أنت تعلم أننى لست الرئيس ..

أراد (أمجد) أن يعترض ..

أو يرفض ..

أو يستنكر ..

ولكن شيئًا ما ، انطلق من عينى (كونار) ، وغاص فى عقلهُ مباشرة ..

أو أنه قد سعى لهذا ..

ففجأة ، خُيِّل إليه أن رأسه يشتعل ، ومخه يصرخ فى ألم ، وعيناه تنتفخان على نحو رهيب ، جعله يرفع يديه إلى عينيه ، ويطلق آهة مكتومة ..

ثم غاص خنجر حاد فى أعمق أعماق مخه ..

وداخل تلك الكرة الملصقة بالجدار ، هتف رئيس الجمهورية فى ارتياع :

- لا .. ليس (أمجد) .

وجفّ حلق (أكرم) ، وهو يغمغم :

- رباه ! إنه يخترق عقله ، مثلما فعل معى ..

وانهار مدير مكتب الوزير ، فى حين تبادل الوزير نفسه نظرة متوترة مع القائد الأعلى ، وقد قفزت فى ذهن كل منهما فكرة واحدة ..

لقد ضاع الأمل ..

الأخير ..

أما (أمجد) ، فقد راح يقاوم ذلك الألم الرهيب فى استماتة ..

ويقاوم ..

ويقاوم ..

وفى أعماقه ، أدرك أن (كونار) يتغلغل فى كيانه ..

فى كل ذرة منه ..

الآن فقط أدرك من يواجه ..

أدرك هوية خصمه ..

وطبيعته ..

وقدراته ..

وأدرك أيضًا أن هذا الخصم يسعى للمعرفة ..

معرفة كل شىء ..

وكل التفاصيل ..

وقاوم (أمجد) أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ولكن (كونار) راح يخترق كيانه بوحشية أكبر ..

ويخترق ..

ويخترق ..

وصار من المحتم أن يعرف كل شيء ..

أن يعرف ما ينتظره ..

وما أعدّه له فريق المخابرات القديم ..

وبكل التفاصيل ..

وكان من المستحيل أن يسمح له (أمجد) بهذا ..

مهما كان الثمن ..

ولكن المقاومة كانت تعنى المزيد والمزيد من الألم ..

وتعنى أن يشتعل مخه ..

ويشتعل ..

ويشتعل ..

ثم إن موعد الهجوم لم يحن بعد ..

أمامه بضع دقائق أخرى ، سيعانى فى كل ثانية منها آلامًا بلا حدود ..

لذا ، فلم يعد أمامه سوى سبيل واحد ..

وأمل واحد ..

وبكل قوته ، وإرادته ، وما تبقّى من كيانه ، انقضَّ (أمجد) ..

انقضّ على (كونار) ..

انقضّ ، وهو يدرك أن هذه الانقضاضة قد تحمل له الموت ..

بلا رحمة .

* * *

٧ - بلا هوادة ..

لثوان ، تجمَّد الموقف كله ، فى تلك القاعة الكبيرة ، فى عالم جنس (موك) ، والكل يحدِّق فى تلك الوحوش البيضاء شبه الآدمية ، التى بدت أشبه بحيوانات غوريلا بلا ملامح ، تستعد للانقضاض على فرائسها(*)، فى حين يقول ذلك الكائن الأبيض ، بلهجة فقدت كل الهدوء والرصانة :

- هذا الإجراء الدفاعى الخاص كان حتميًّا ، لحماية عالمنا الجديد ، وضمان عدم تعرّضه للمخاطر ، بسبب كائنات أدنى .

(*) الغوريلا : من القردة العليا الشبيهة بالإنسان ، والتى تستوطن المنطقة الغربية من (إفريقيا) الاستوائية ، وهى أضخم القردة العليا ، وعلى عكس الشائع عنها ، فى الأفلام والروايات ، فهى حيوان نباتى ، يتغذى على الفواكه والخضراوات فحسب .

غمغمت (نشوى) فى غضب :

- كيف يصفنا هذا الوغد بأننا كائنات أدنى .

تابع الكائن ، متجاهلاً عبارتها الغاضبة :

- إننا نعتذر مقدَّمًا عما سيحدث لكم ، ولكننا ابتكرنا هذه الوحوش الآلية لهدف واحد لا غير ..

واكتسى صوته بصرامة شديدة ، وهو يضيف :

- القتل .. وبلا رحمة .

ومع آخر حروف كلماته ، كشّرت الوحوش عديمة الملامح عن أنيابها الحادة الرهيبة .. ثم اتجهت نحو الأرضيين ..

وفى حزم متوتر ، هتف (نور) ، وهو يزيح ابنته وزوجته جانبًا :

- فليتقدَّم العسكريون كلهم إلى خط المواجهة .. المدنيون والنساء فى الخلف .. سنقاتل حتى آخر قطرة دم .

تحرَّك العسكريون بمنتهى الحزم والشجاعة ، وصنعوا من أجسادهم حاجز دفاع ، فى مواجهة الوحوش الخمسة ، الذين واصلوا تقدُّمهم ، ومخالبهم تنمو على نحو مخيف رهيب ، والكائن يتابع ، فى لهجة أقرب إلى الشماتة :

- عندما أحضركم برنامجنا إلى هنا ، حرص على تجريدكم من كل الأسلحة والمعدات ، التى يمكن أن تمثِّل لنا خطرًا ، ومعظمكم لم يتناول طعامًا أو شرابًا ليومين أرضيين تقريبًا ، وهذا يعنى أن قدرتكم على القتال ستنخفض إلى حد كبير ، واحتمالات نجاحكم تكاد تبلغ الصفر ..

وأضيفت إلى لهجته رنة ساخرة ، وهو يضيف :

- أو أقل قليلاً .

ومع آخر حروف كلماته ، أطلقت الوحوش زمجرة مخيفة ..

ثم انقضَّت ..

وتصدَّى لها (نور) ورجال الجيش فى بسالة ..

ولكن المخالب الحادة ، والأنياب الطويلة انقضت تقطع وتمزِّق ، بلا رحمة أو هوادة .. وتفجَّرت أنهار الدم ..

وصرخت النساء فى رعب ، وتراجعت (سلوى) بكل ذعر الدنيا ، وهى تهتف :

- يا إلهى (نور) .. يا إلهى !

أما (نشوى) ، فقد انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تتابع تلك المذبحة الرهيبة .. ثم اندفعت فجأة ..

اندفعت تتجاوز حاجز المقاتلين ، فصاح بها (نور) مذعورًا :

- (نشوى) .. لا ..

واصلت اندفاعها نحو الأجهزة ، فى ركن القاعة ، واستدار إليها أحد الوحوش ، وكشَّر عن أنيابه ، وأبرز مخالبه أكثر ، فانقضَّ عليه (نور) ، صارخًا :

- لا .. إلا (نشوى) .

خوفه الشديد على ابنته ضاعف من قوته ألف مرة ، وهو يحيط عنق الوحش بذراعه ، ويعتصره بكل قوته ، صارخًا :

- لن تنالها إلا على جثتى أيها القذر .

حماسه الشديد ضاعف من قوة الآخرين أيضًا ، فراحوا يقاتلون باستماتة متجاهلين جروحهم وإصاباتهم ، والدماء التى تنزف منهم فى غزارة ..

وسقط اثنان منهم شهداء ..

وأصيب ثالث إصابة فادحة ..

خوفه الشديد على ابنته ضاعف من قوته ألف مرة ، وهو يحيط عنق الوحش بذراعه ..

أما (نور) ، فقد أدار الوحش يده خلف ظهره ، وغرس مخالبه فى كتفه ، ثم انتزعه عن ظهره ، وألقاه بكل قوته نحو الجدار ..

وانقض عليه بكل وحشية الدنيا ..

وعلى الرغم من الدماء ، والصرخات ، والرعب ، والانهيارات ، اندفعت (نشوى) نحو الأجهزة ، وراحت تضغط المكعبات فى سرعة ، محاولة فهم نسقها وأسلوبها ، ووسيلة التعامل معها ..

وفى توتر ملحوظ ، قال الكائن الأبيض :

- لن يمكنك التعامل معها قط ... التكنولوجية التى صنعتها تفوق إدراكك ألف مرة .

واصلت (نشوى) عملها ، متجاهلة قوله هذا ، ومحاولة سد أذنيها وعينيها عن كل ما يحدث خلفها ..

المكعبات تحمل المعلومات المختزنة ..

والكرات تشبه أزرار لوحة المفاتيح لدينا ..

ومع ضغطة لمكعب آخر ، أضيئت شاشة ثانية هولوجرامية ، تنقل صورة للمنطقة (ص) ، فى صحراء (مصر) الغربية ..

ولكن (نشوى) لم تبال بها الآن ..

لقد تفادى والدها (نور) انقضاضة الوحش ، ووثب جانبًا ، والدماء تنزف من كتفه فى غزارة ، ولكن الوحش اعترض طريقه بسرعة مدهشة ، وضربه بمخالبه الطويلة فى صدره ..

وتفجَّرت دماء (نور) ثانية ..

وقال الكائن فى توتر :

- لا تحاولى .. عقولكم الأرضية لن تبلغ مقدار عقولنا قط ..

ولكنها واصلت المحاولة ..

الدوائر البعيدة تضىء أكثر ..

ومكعبات المنتصف تحمل كل المعلومات الأساسية ..

وبرامج التشغيل ..

وفى وحشية ، انقضَّ الكائن الشبيه بالغوريلا على (نور) ،وأسقطه أرضًا ، وجثم على صدره ..

وصرخت (سلوى) بكل رعبها ..

وسقط شهيد ثالث ..

ورابع ..

وتفجَّرت الدماء من عنق خامس ..

وانهارت (الدكتورة (ليلى) ..

وفقدت الدكتورة (مارى) وعيها رعبًا ..

ثم غرس الوحش أنيابه فى عنق (نور) ..

وانهار كيان (سلوى) كله ، أمام تلك اللحظة الرهيبة ..

لحظة الرعب ..

والدم ..

والموت ..

* * *

« خمس عشرة دقيقة أرضية ، ويبدأ الغزو يا مولاى .. »

نطق قائد الجيوش الإمبراطورية فى (هور) العبارة ، وهو يشير إلى بقعة من عالمه ، بدأت تتموَّج على نحو عجيب ، جعلها أشبه بسطح بحيرة هادئة ، غاص فيها حجر صغير منذ لحظات ، فتطلَّع الإمبراطور بدوره إلى تلك البقعة ، وغمغم :

- عظيم .

ثم أشار بيده فى عظمة ، مضيفًا :

ـ عندما تصبحون هناك ، لا تضيعوا الكثير من الوقت على الأرض .. ولا تدخلوا قط فى مفاوضات أو مناقشات ، أو حتى حروب صغيرة .. اسحقوا كل مقاومة فورًا .. لا يعنينى كثيرًا كم ستريقون من الدماء .. المهم أن يتم إنجاز العمل بسرعة ، وأن تكون سيطرتنا على عالم الأرض كاملة ، حتى يمكننا الوثوب منها إلى الهدف الرئيسى .

أومأ قائد جيوشه برأسه متفهمًا ، وقال :

ـ نحن ندرك جيِّدًا أهمية الأرض ، وموقعها المثالى كنقطة تجمع ، لكل البوَّابات الفضائية الكونية ، وندرك أيضًا حتمية السيطرة عليها ، كطريق أساسى إلى عالم (موك) ، الذين سنذيقهم هذه المرة أفدح هزيمة عرفوها ، فى تاريخهم العريق كله .

انعقد حاجبا الإمبراطور ، وهو يقول فى صرامة :

ـ تذكَّر أن كارثتنا القديمة قد منحتهم فرصة التطوُّر أكثر ، لولا ذلك الوباء ، الذى أرسلناه إليهم ، لصاروا اليوم سادة الكون .

قال قائد الجيوش فى حزم :

ـ هذه المعركة ستحسم أمر سيادة الكون يا مولاى .

غمغم الإمبراطور :

ـ بالتأكيد .

ثم اضطجع على عرشه الضخم ، مضيفًا فى توتر :

ـ أيًّا كانت النتائج .

دقَّ القائد صدره بقبضته ، قائلاً :

ـ ستكون لصالحنا يا مولاى .

زفر الإمبراطور ، وهزَّ رأسه ، قائلاً :

ـ فلنأمل هذا .

سأله قائده فى اهتمام :

ـ مولاى .. هل نبدأ الهجوم فور وصولنا إلى الأرض أم ننتظر حتى اكتمال قوتنا ؟!

اعتدل الإمبراطور ، قائلاً :

ـ إذا نجح (كونار) فى مهمته ، وأمكنكم بدء العبور ، مع لحظة التماس العظمى ، فأوَّل ما عليكم فعله هو تثبيت أقدامكم هناك ، والسيطرة من الجانب الآخر على الفجوة ، وسحق أى سلاح اعتراضى ، قد يكون شعب (موك) قد وضعه هناك ، وبعدها ستتدفَّق قواتنا ، وستضطرون إلى بدء القتال ، فور أن يرصد الأرضيون الموقف .

ابتسم قائد الجيوش ، وهو يقول :

ـ إذا ما وضعنا أقدامنا هناك ، فلن توجد قوة فى الأرض كلها ، يمكن أن توقفنا أو تردعنا .

غمغم الإمبراطور :

ـ بالتأكيد .

ثم مال إلى الأمام ، متسائلاً فى توتر :

ـ السؤال الفعلى الآن إذن هو : هل نجح (كونار) فى مهمته هناك ، ومنحنا فرصة العبور إلى الأرض ؟!

وعاد يتراجع على عرشه ، مضيفًا فى صرامة :

ـ هذا هو السؤال الحقيقى .. والحاسم .

ولم يعلِّق قائد الجيوش على عبارته هذه المرة .. كل ما فعله هو أن أدار رأسه إلى تلك البقعة

من عالمه ، التى يزداد تموّجها كل دقيقة ، وهو يكرّر السؤال نفسه فى أعماقه ..

هل نجح (كونار) فى مهمته هناك ؟!

هل ؟!

★ ★ ★

من المؤكّد أن انقضاضة (أمجد) على (كونار) كانت مباغتة ومفاجئة تمامًا لهذا الأخير ..

وناجحة أيضًا ..

لقد انتزعته المفاجأة من تركيزه العقلى ، الذى كاد ينسف عقل (أمجد) ، وينتزع منه ما لديه من معلومات ..

ولقد دفعته الانقضاضة المباغتة إلى الخلف ، ليرتطم بأحد أجهزة الرصد الداخلية ، ويسقط معه ومع (أمجد) أرضًا ..

ومع تحررُ عقل (أمجد) ، استعاد جسده سيطرته على نفسه ، فهوى على فك (كونار) بلكمة كالقنبلة ، هاتفًا :

ـ جميل منك أن اعترفت بزيفك .

لم يعد لدى (كونار) الفرصة أو الرغبة ، لمواصلة انتحال هيئة الرئيس ، لذا فقد استعاد ملامحه الأصلية ، وأطلق زمجرة غاضبة ، وهو يهتف بصوته الأجش المخيف ، وأنيابه الحادة تبرز كالوحوش :

ـ وهل يفيدك الاعتراف ؟!

هوى (أمجد) على فكه بلكمة أخرى ، هاتفًا :

ـ من يدرى ؟!

دفعه (كونار) بكل قوته ، صائحًا :

ـ أنا .

كانت الدفعة قوية رهيبة ، حتى إنها انتزعت (أمجد) عن صدر (كونار) ، وألقته ثلاثة أمتار كاملة إلى الخلف ، ليرتطم بالجدار ، ثم يسقط على وجهه أرضًا ..

كانت الآلام رهيبة ، وتنتشر فى كل عظمة من عظامه ، إلا أن إرادته الفولاذية جعلته يهبّ واقفًا على قدميه ، وينقضّ على (كونار) ثانية ، هاتفًا :

ـ سنرى .

مال (كونار) جانبًا فى خفة ، ليتفادى انقضاضة (أمجد) ، إلا أن هذا الأخير استجاب للتفادى بسرعة مدهشة ، فوثب عاليًا ، ودار حول نفسه ، ليركل (كونار) فى وجهه بقدمه اليسرى ، ثم يعقب هذا بضربة أخرى من قدمه اليمنى ..

وترجع (كونار) مع عنف الضربتين ، وسال

سائل أخضر لامع من أنفه ، مسحه بكفه ، وهو يقول بغضب هادر :

ـ إذن فأنت لست مستشارًا أمنيًا فحسب .. إنك تجيد القتال أيضًا .

سأله (أمجد) ساخرًا :

ـ ما رأيك أنت ؟!

شدّ (كونار) قامته ، وتألّقت عيناه بغضب نارى ، وهو يقول :

ـ رأيى أن أساليبكم القتالية متخلّفة أيضًا ، ككل حضارتكم هنا .

ثم اتخذ وقفة قتالية عجيبة ، مضيفًا :

ـ دعنى أعلمك كيف يكون القتال الحقيقى .

انعقد حاجبا (أمجد) ، وهو يقول :

ـ فلنر .

قالها ، ووثب نحو (كونار) ، بمنتهى الخفة والرشاقة ..

ووثب (كونار) أيضًا ..

وما من مقاتل ، فى الأرض كلها ، يمكن أن ينكر أن (أمجد صبحى) حالة خاصة للغاية ..

إنه أفضل مقاتل عرفه الجيل ..

أو ربما التاريخ ..

وعلى الرغم من هذا ، فقد بدا له (كونار) وكأنه يطير ، برشاقة مذهلة ، وخفة بلا حدود ..

كلاً .. إنه لم يبد كذلك ..

لقد طار بالفعل ..

طار ، متجاوزًا كل قوانين الجاذبية ، وضرب (أمجد) بقبضته وقدميه فى آن واحد ..

وكانت ضرباته بالغة القوة ..

والدقة ..

ففى لحظة واحدة ، تلقَّى (أمجد) لكمتين فى أنفه ، وركلة فى معدته ، وثانية فى ساقه اليسرى ..

وسقط (أمجد) أرضًا ..

أما (كونار) ، فقد هبط على قدميه ، وعقد ساعديه أمام صدره ، وهو يقول فى سخرية شامتة :

- أرأيت كيف يكون القتال ؟!

غمغم (أمجد) :

- إنه أسلوب مذهل ومبهر .

اتسعت ابتسامة (كونار) الظافرة ، وهو يقول :

- إذن فأنت تعترف .

هتف (أمجد) مكملاً :

ـ فى المرة الأولى فقط .

ثم وثب فجأة من رقدته ، واندفع نحو (كونـار) وهو يهتف :

ـ أما فى المرة الثانية .

تحرك (كونـار) لتفادى الانقضاضـة ، فـى سرعة ، ولكن (أمجد) عدّل من زاوية انقضاضتـه بغتة ، وانزلق أرضًا فـى خفـة رائعـة ، وركـل (كونار) فى ساقيه ، مكملاً :

ـ فأنت تعتاده تمامًا .

اختلّ تـوازن (كونـار) ، وحـاول أن يتشبّث بالجدار ، إلا أنه انزلق عنه فى سرعة ، فهـوى على ظهره أرضًا ..

ومع سقوطه ، ارتطمت يده بالكرة الملصقة

بالجدار ، فهوت ترتطم بالأرض ، ثم تتدحرج عبر الغرفة ، ومدير مكتب الوزير داخلها يصرخ :

ـ لا .. لا .. سنموت كلنا .

صاح به (أكرم) فى غضب :

ـ تماسك يا رجل .. الفائدة الوحيدة لذلك الفراغ السخيف الذى نسبح فيه ، هو أننـا لا نشـعر بالصدمات أو الضربات العنيفة .

أوقفها الرئيس بإشارة صارمة ، وهو يقول :

ـ مهلاً .. أريد أن أتابع القتـال ، بين (أمجد) وذلك الشيطان .

سأله وزير الدفاع ، والكرة تتدحرج إلى ركـن الحجرة :

ـ هل تعتقد أن (أمجد) يمكنه الصمود أمامه ؟!

قال الرئيس فى توتر :

ـ (أمجد) أمكنه الصمود من قبل ، أمام الكثير من الصعاب .

غمغم الوزير فى مرارة :

ـ لم تكن صعابًا من عالم آخر .

صمت الرئيس لحظة ، ثم قال فى خفوت :

ـ فلنأمل أن يصمد .

كان (أمجد) ، فى هذه اللحظة ، ينقضّ على (كونار) بكل قوته ، هاتفًا :

ـ والآن حان دورى .

وركله فى أنفه وفكه ، مضيفًا :

ـ لأعلمك القتال .

تفجَّر ذلك السائل الأخضر ، من أنف (كونار) وفمه ، وهو يثب واقفًا على قدميه ، قائلاً بكل غضب الكون :

ـ من الواضح أنك لست مقاتلاً عاديًا أيها الأرضى .

ثم اندفع فجأة نحو الجدار ، مستطردًا فى حدَّة :

ـ وأنا أيضًا كذلك .

واتسعت عينا (أمجد) بدهشة عارمة ، عندما شاهد أمامه أكبر تحدٍّ لقوانين الجاذبية الأرضية ..

لقد وثب (كونار) إلى الجدار ، وعدا عليه ، حتى بلغ السقف ، وواصل عدوه فوقه ، فى وضع مقلوب ، يخالف كل القوانين ..

ومن السقف ، انقضّ فجأة على (أمجد) ، وأحاط عنقه بقبضتيه ، هاتفًا فى ظفر :

ـ والآن قل لى ما الذى يمكنك أن تفعله ؟!

شعر (أمجد) بقوة هائلة ،تنتزعه من الأرض ، وترفعه من عنقه إلى أعلى ، مع ضحكات (كونار) ، الذى يهتف :

ـ الآن ستدرك أننى وحدى أحمل لقب أعظم مقاتلى الكون .

احتقن وجه (أمجد) فى شدة ، وشعر أنه يختنق ..

ويختنق ..

ويختنق ..

وضحكات (كونار) الظافرة تتعالى ..

وتتعالى ..

وتتعالى ..

وبكل ما تبقَّى له من قوة وإرادة ، رفع (أمجد) قدميه إلى أعلى ، وثنى جسده كله فى مرونة مدهشة ، و ..

وركل (كونار) فى صدره مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

ولكن (كونار) ظلَّ متشبثًا بعنقه ، يعتصره ..

ويعتصره ..

ويعتصره ..

وفى غضب عصبى ، هتف (أكرم) ، من داخل الكرة :

ـ ماذا ينتظر السيِّد (أمجد) بالضبط ؟! لماذا لا يطلق عليه النار مباشرة ؟!

قال رئيس الجمهورية فى توتر :

ـ (أمجد) لا يحمل أية أسلحة نارية .

هتف (أكرم) :

ـ لا يحمل ماذا ؟!

أجابه الرئيس ، فى توتر أكثر :

ـ إنها قصة قديمة ، كانت سببًا فى اعتزاله العمل بالمخابرات العامة .. قصة عجيبة ، ربما أرويها لك يومًا .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

ـ لو كُتِبَتْ لنا الحياة .

انعقد حاجبا (أكرم) بدوره ، وهو يستعيد خبراته السابقة مع (أمجد) ، الذى استخدم الأسلحة بالفعل ..

ولكنه لم يكن يحملها أبدًا ..

منذ عرفه على الأقل ..

و ...

وفجأة ، توقَّفت أفكاره كلها ..

وازداد حاجباه انعقادًا ..

وفى اللحظة نفسها ، انتبه الكل إلى ما التقطته أذناه ..

وقع أقدام تتجه فى قوة نحو المكان ..

وهتف الوزير فى انفعال :

ـ رباه ! أمن الممكن أن ..

قاطعه الرئيس فى حماس :

ـ إذن فـ (أمجد) لم يأت وحده .

وهتف القائد الأعلى فى حزم :

ـ عظيم ..

ولكن أذنى (كونار) أيضًا التقطتا وقع الأقدام ، فزمجر فى غضب ، هاتفًا :

ـ آه .. إنها خطة لاعتقالى إذن .

صاح به (أمجد) ، وهو يختنق :

ـ اذهب إلى الجحيم .

اشتعلت عينا (كونار) فى غضب ، وهو يهتف :

ـ لا أحد يدرى ، من منا سيذهب إليه :

وفجأة ، ترك قوانين الجاذبية تستعيد سيطرتها عليه ، ودار جسده فى الهواء ، ليسقط على قدميه ..

ثم ترك عنق (أمجد) بغتة ، وتراجع فى سرعة ، وهو يقول ، ووقع الأقدام يقترب فى سرعة أكبر :

ـ سيكون عليهم أن يتخذوا قرارهم بأقصى سرعة .

ومع قوله تموَّج وجهه وجسده ..

وداخل الكرة ، هتف (أكرم) ذاهلاً :

ـ يا إله الكون !

واتسعت عيون الكل فى ارتياع ..

فخلال لحظات ، وبتكنولوجيا شديدة التقدُّم والتطوُّر ، تحوَّل (كونار) إلى نسخة طبق الأصل من (أمجد) ..

نسخة فى هيئته ، وزيه ، وملامحه ..

وحتى صوته ..

وفى اللحظة التالية ، اقتحم الفريقان الحجرة ، حاملين مدافعهم الآلية ..

وبكل براعة محاكاته ، هتف (كونار) ، وهو يشير نحو (أمجد) :

ـ اقتلوه .. إنه ينتحل شخصيتى .

واتسعت عيون الرجال فى ذهول ، لمرأى نسختين متماثلتين ، بهذه الدقة المدهشة ..

ولكن غريزتهم خدعتهم ، مع هتاف (كونار) ، وانتزعتهم من ذهولهم فى عنف ..

لذا ، فقد اتجهت فوهات مدافعهم كلها نحو هدف واحد ..

نحو (أمجد) الحقيقى .

* * *

٨ ـ محاولة إصلاح ..

رقد جسد الرائد ـ (أيمن) هامدًا ساكنًا ، فى قبو وزارة الدفاع ، الذى نقله إليه طاقم حراسة الوزير ..

كان الجسد شبه الآلى قد فقد كل طاقته وقدراته ، بعد مواجهته العنيفة مع قائد الـ (هور) (كونار) ..

إلا جزءًا ضئيلاً للغاية ..

ذلك الجزء المتصل بالمخ مباشرة ، والذى واصل بث تلك الإشارات الباهتة الضعيفة ، إلى مركز الأبحاث العلمية ..

ثم فجأة ، تلقَّى ذلك الجزء إشارة قوية ..

إشارة جعلته ينشط فجأة ..

ثم يبثّ إشاراته إلى أجزاء أخرى من الجسد شبه الآلى ..

وفى بطء ، راحت تلك الأجزاء تنشط ، وتنهض من رقادها ..

وبدأ مصدر الطاقة الاحتياطى المحدود عمله ..

وفى بطء ، فتح الرائد (أيمن) عينيه ..

وعاد عقله يعمل ..

ويعمل ..

ويعمل ..

وطبقًا للبرنامج المتطوِّر ، الذى يربط عقله بأجزاء جسده الآليه ، أدرك أنه يخضع لمحاولة إصلاح مركزية ..

وأن برنامج الإصلاح عن بُعد قد بدأ بالفعل ، وأن أجزاء جسده يصلح بعضها البعض ، للوصول إلى أفضل كفاءة ممكنة ..

ولأنه يدرك طبيعة الأمر جيدًا ، فقد ترك كل أجزاء جسده البشرية تسترخى ، لتوفير كل الطاقة الممكنة لبرنامج الإصلاح ..

وفى مركز الأبحاث العلمية ، هتف الدكتور (كمال) فى ارتياح :

ـ أعتقد أننا قد نجحنا يا دكتور (جلال) .

زفر الدكتور (جلال) فى ارتياح ، قائلاً :

ـ حمدًا للَّه .. حمدًا للّه .

ثم سأل فى اهتمام :

ـ كم يمكننا استعادته فى كفاءته ؟!

أشار الدكتور (كمال) إلى المؤشرات على الشاشة ، قائلاً :

ـ عندما نفذنا هذا المشروع ، وضعنا فى الاحتمالات حالات الأعطال المباغتة البعيدة ، ولكنها

وفى مركز الأبحاث العلمية ، هتف الدكتور (كمال) فى ارتياح :
ـ أعتقد أننا قد نجحنا يا دكتور (جلال) ..

لم تكن تزيد ـ فى كل الأحـوال الطبيعيـة ـ على ثلاثين فى المائة ، لذا فقد وضعنا ما يكفى لإصلاح أعطاب تبلغ خمسين فى المائة احتياطيًّا ، ولكـن الإصابة هنا ـ كما تشـير النتـائج الإليكترونيـة ، المستقاة فى الإشارة المرسلة ـ تتجاوز السبعين فى المائة ، وهذا يعنى أننا ، حتى ولو أطلقنا جهاز الإصلاح عن بعد بأقصى طاقاته ، فلن تبلـغ نسبة النجاح مـا يزيد على الثمـانين فـى المائـة ، مـن الكفاءة التامة .

سأله الدكتور (جلال) فى قلق :

ـ وهل يكفى هذا لمواجهة جديدة ؟!

أجابه فى أسف :

ـ مواجهة مدروسة فحسب .

ثم استدرك فى اهتمام :

ـ ولكن لا تنس أن أجهزة (أيمن) مجهَّزة ، بحيث تكتسب خبرات قتالية ، فى أية مواجهات سابقة ، وهذا سيفيد كثيرًا ، فى المواجهة القادمة .

سأله الدكتور (جلال) ، وهو يعرف الجـواب مسبقًا :

ـ وكم ستستغرق من وقت ، لبلوغ تلك الكفـاءة المتوقَّعة ؟!

تطلَّع الدكتور (كمال) إلى المؤشرات مرة أخرى ، قبل أن يجيب :

ـ حوالى الساعة .

نطقها ، دون أن يدرى كلاهما أن هـذه الفترة تتجاوز بكثير ما تبقَّى للأرض كلها ..

فخـلال أقل مـن عشر دقائق ، سينحسم أمر العالم كله ..

إلى الأبد ..

* * *

فجأة ، تجمَّد كل شىء ...

الوحوش البيضاء عديمة الملامح توقَّفت بغتة ، كما لو أنها قد تحولَّت فى لحظة واحدة إلى تماثيل صمَّاء ..

ولثوان ، تجمَّد البشر أيضًا ، وهم يحدقون فيما حدث بذهول ..

ثم تجاوز (نور) هذا الجمود ، وهو ينتزع أنياب الوحش من عنقه ، ثم يدفعه عن صدره ، وينهض ممسكًا عنقه ، محاولاً منع الدماء التى تنزف منه ، هاتفًا :

ـ ماذا حدث بالضبط ؟!

التفتت إليه (نشوى) بوجه شاحب ، مغمغمة :

ـ لقد أوقفت الإجراء الدفاعى .

نطقتها ، ثم انفجرت باكية فجأة ، وكأنما تفرغ

كل ما اختزنته فى أعماقها من انفعالات فتطلَّعت إليها أمها فى إشفاق ، ثم أسرعت إليها ، واحتوتها بين ذراعيها ، هاتفة :

ـ رويدك يا ابنتى .. رويدك .. لقد انتهى كل شىء .. أنت قمت بعمل رائع .. رائع للغاية .

أجهشت (نشوى) بالبكاء على صدرها ، هاتفة :

ـ تلك الوحوش كانت ستقتلكم جميعًا بلا رحمة .

غمغم (نور) ، وهو يربط منديله على عنقه ، لمنع النزيف :

ـ لقد قتلت بعضنا بالفعل .

وألقى نظرة آسفة على شهداء المعركة ، قبل أن يلتفت إلى الصورة المجسَّمة ، مستطردًا فى غضب :

ـ بسبب هؤلاء الأوغاد المسالمين .

قال الكائن فى صرامة :

ـ نجاح زميلتكم فى تحديد وحذف الإجراء الدفاعى ، لا يعنى أنكم قد انتصرتم على برنامجنا ، فتدخلكم يعنى أنكم قد فقدتم آخر فرصة ، للعودة إلى عالمكم .

هتف به الدكتور (خالد) :

ـ الواقع أنه لم تكن لدينا أية فرصة ، للعودة إلى عالمنا .

قال الكائن فى تحد :

ـ مشكلتكم أيها البشر هى الغرور .. أنتم تتصوَّرون أنفسكم دائمًا الأقوى ، والقادرين على مواجهة كل مخاطر الكون ، ولكن الواقع أنكم مجرَّد كائنات بدائية بسيطة ، وتطوّركم كله لا يساوى ذرة من التطوُّر ، الذى بلغته عشرات الكواكب الأخرى فى مجرات بلا عدد أو حدود .

أشار إليه (نور) ، قائلاً فى صرامة :

ـ ومشكلتكم أنتم أنكم تتصوَّرون أن القوة تكمن فى التكنولوجيا والتقنية العسكرية وحدهما ، حتى ولو لم تساندهما أية مبادئ أو عقائد سليمة ، وتاريخنا ينبئنا بأن هذا فكر خاطئ تمامًا ، فالحضارة الرومانية بلغت فى زمانها شأنًا لم يبلغه سواها ، حتى إنها قد فرضت سيطرتها يومًا على العالم المعروف كله ، وصار الحصول على الجنسية الرومانية هو غاية الهدف والمنى ، لكل بشرى ، خاصة وأن الحضارة الرومانية قد نجحت فى السيطرة على كل الحضارات الأخرى ، بما فيها الحضارة المصرية ، التى تعدَ واحدة من أرقى الحضارات ، التى عرفها التاريخ ، ولكن تلك الحضارة الرومانية الضخمة لم تلبث أن انهارت ، وتحولت إلى أثر بعد عين ، لأنها لم تهتمَ ببناء الأخلاقيات والمبادئ ، كما اهتمت ببناء

الإمبراطوريات والفتوحات والانتصارات(*) وما دمتم تراقبوننا منذ زمن طويل ، فأنتم تدركون أن ما أقوله صحيح .

قال الكائن ، فى شىء من السخرية :

- حضارتنا لم تعرف الفلسفة ، التى تعرفونها فى عالمكم .

قال (نور) فى صرامة :

- وحضارتكم لم تعرف المبادئ ، التى نشأنا عليها فى عالمنا .

قال الكائن فى صرامة :

- المهم من ينتصر فى النهاية .

صاح أحد العسكريين فى حدة :

- يمكننا أن ندمر كل أجهزتكم الآن ، فتعجزون عن حماية مداخل وبوابات عالمكم .

(*) حقيقة تاريخية .

قال الكائن ساخرًا .

- الـ (ميجالون) ، الذى أرسلناه إلى عالمكم ، منذ مليون عام من أعوامكم ، مجهَّز ببرنامج تشغيل خاص ، ولايربطه بعالمنا القديم سوى نظام النقل فحسب ، ولكن حتى بفرض أنكم قد نجحتم فى إفساده ، فهذا سيعنى تدمير كوكبكم وعالمكم أوَّلاً .... انظروا إلى شاشة الرصد الكونية ، التى أشعلتها زميلتكم مصادفة ، وستدركون أن وجود الـ (ميجالون) وحده هو الذى يحمى عالمكم من الغزو الآن ، ولو توقَّف عمله لحظة واحدة ، عندما تحين لحظة التماس العظمى ، فسيعنى هذا نهاية عالمكم .

قال (نور) فى صرامة :

- وعالمكم أيضًا .

صمت الكائن لحظة ، ثم قال :

- هذا مجرَّد افتراض .

ثم أضاف فى صرامة :

- ولكن الأمر المؤكَّد ، هو أنكم قد فقدتم آخر أمل فى النجاة ، وستقضون نحبكم هنا ، فى عالمنا القديم .

قالت (نشوى) فى صرامة ، وهى تمدّ يدها نحو المكعب الأول :

- هذا أيضًا مجرَّد افتراض .

صاح الكائن فى توتر :

- حذار أن تفعلى .. أنا همزة الوصل الوحيدة ، بينكم وبين الـ ...

ضغطت المكعب ، قبل أن يتمّ عبارته ، فانزلق بنفس النعومة المدهشة ..

وتلاشت صورة الكائن دفعة واحدة ..

وفى بطء مذعور ، تساءلت الدكتورة (ولاء) :

- ماذا فعلت بالضبط ؟!

أجابتها (نشوى) فى حزم :

- أنهيت حديثه السخيف .

هتف أحد العسكريين :

- وماذا سنفعل الآن ؟! هل نلقى حتفنا هنا ؟!

أجابه (نور) فى صرامة :

- ليس بالضرورة .

ثم التفت إلى زوجته ، قائلاً :

- (نشوى) أمكنها فهم بعض الأمور ، عن هذا النظام .

غمغمت متوترة :

- أنا أيضًا يمكننى فهم البعض الآخر .

ثم أضافت فى عصبية :

ـ ولن يكون هذا بالأمر السهل .

تمتم (نور) :

ـ أعلم هذا .

اتجهت فى حزم نحو ابنتها ، وراحتا تدرسان المكعبات والدوائر ، فى حين تساءل أحد العسكريين فى عصبيةٍ :

ـ أمن الممكن أن يفعلا هذا ؟!

قال (نور) فى هدوء :

ـ ولِمَ لا ؟!

هتفت الدكتورة (ليلى) فى عصبية :

ـ وما الذى يمكن أن يفعلاه .. ذلك الشىء فى عالمنا لديه برنامج مستقل ، وبرنامجه هذا لايحوى أية وسيلة لإعادتنا ، وهذا يعنى أننا سجناء هنا ، على بعد ملايين السنوات الضوئية من كوكبنا ، دون طعام أو شراب ، والمصير الوحيد الذى ينتظرنا هو الموت .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول :

ـ لا ينبغى أن نفقد الأمل أبدًا .

هتف الدكتور (خالد) فى مرارة :

ـ وأين هو الأمل ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ الأمل فى الله (سبحانه وتعالى) لا ينقطع أبدًا .

قال أحد العسكريين :

ـ عظيم .. ما الذى تقترحه إذن ؟! أن نبدأ فى أكل أجساد الموتى لنحيا ، ونواصل البقاء ؟!

كانت الفكرة بشعة رهيبة ، على الرغم من أنها

قد حدثت يومًا بالفعل(*)، فهز (نور) رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ هذا ليس حلاً .

هتف آخر :

ـ ما الحل إذن ؟!

صمت (نور) بضع لحظات مفكرًا ، قبل أن يقول فى حزم صارم .

ـ ربما لا يمكن الحل هنا .

سألته الدكتورة (ولاء) ، وهى تلهث انفعالاً :

ـ ماذا تعنى ؟!

(*) فى منتصف السبعينات ، سقطت طائرة ركاب على جبال الألب السويسرية ، وسط ثلوج الشتاء ، ولم تعثر عليها طائرات البحث ، إلا بعد شهر كامل ، لسوء الأحوال الجوية ، ولقد أعلن الناجون من الحادث ، أن سبب بقائهم على قيد الحياة ، هو أنهم قد استخدموا أجساد الموتى منهم كوسيلة للتغذية ، وأن الأمر ، على الرغم من بشاعته ، بدا بالنسبة لهم كأمل أخير للبقاء ، وأنه لن يمكنهم نسيان ما حدث قط ، مهما تبقى لهم من العمر .

أشار بيديه ، قائلاً :

ـ إننا ، ومنذ وصولنا إلى هنا ، محتجزين داخل هذه القاعة البيضاء الكبيرة ، ولا أحد يدرى ماذا يوجد خارجها .

تلفت الكل حولهم فى قلق ، وغمغم الدكتور (خالد) :

ـ لست أجد أبوابًا أو نوافذ .

قال (نور) :

ـ هناك وسيلة للخروج حتمًا .

هتفت الدكتورة (مارى) مستنكرة :

ـ وهل ستجازف بالخروج ، لو وجدت تلك الوسيلة ؟!

سألها (نور) فى صرامة :

ـ ولِمَ لا ؟! أتتصورين أن البقاء والاستسلام أقل خطورة ومجازفة .

هتفت فى عصبية :

ـ لا أحد يدرى ما يوجد فى الخارج .

قال (نور) فى عزم :

ـ هذا ليس سببًا يدعونا للبقاء ، فلا أحد كان يعلم ماذا يوجد ، بعد المحيط الأطلنطى ، وعلى الرغم من هذا ، فقد اجتازه (كريستوفر كولومبس) ، ليكشف الأرض الجديدة(*).

غمغم أحد العسكريين :

ـ ليته ما فعل .

(★) (كريستوفر كولومبس) (١٤٥١ ـ ١٥٠٨ م) : مكتشف (أمريكا) ، ولد فى (جنوة) الإيطالية ، واستطاع الحصول على موافقة ملك (إسبانيا) ، للإبحار إلى (الهند) ، عن طريق الملاحة فى المحيط الأطلنطى غربًا ، وأقلع بالفعل بثلاث سفن (سانتا ماريا) ، (بنتا) و(نينا) ، وعلى الرغم مما فعله ، فقد عاد إلى (إسبانيا) مكبلاً بالأغلال ، لسوء إدارته لإحدى مستعمرات (هسبانيولا ١٥٠٠ م) ولكنه سرعان ما أبحر مرة أخرى ، ليبلغ (هندوراس) ، (١٥٠٢ م) ، ثم لم يلبث أن اضطر إلى العودة ، ومات فقيرًا مغمورًا .

قال (نور) فى صرامة :

ـ المهم أنه وجد الأمل ، الذى عجز الكل عن رؤيته ، خلف المحيط .

لوَّحت الدكتورة (مارى) بيدها نحو الجدار ، هاتفة فى عصبية :

ـ وهل تدرك أنت ما الذى يمكن أن تجده ، خلف هذه الجدران ؟!

هزَّ كتفيه ، مجيبًا :

ـ ليس أسوأ مما ينتظرنا داخلها بالتأكيد .

سأله الدكتور (خالد) :

ـ وماذا لو لم يكن هناك هواء فى الخارج ؟! ماذا لو أننا نحيا هنا فقط ، بسبب مصدر هواء صناعى ؟! لاتنس أننا على كوكب آخر ، يبعد ملايين السنين الضوئية عن عالمنا .

هزَّ (نور) رأسه ، قائلاً :

ـ لست أعتقد هذا لعدة أسباب ، أولها هو أن شعب (موك) ، عندما اختار الأرض ، كان يبحث حتمًا عن معبر يصلح لمعيشته .

قال أحد العسكريين فى سرعة :

ـ لا تنس أنه لم يحاول الاستقرار فيها .

تابع (نور) :

ـ ربما ، ولكن السبب الثانى ، يجعلنى أكثر وثوقًا ، فلو أن المناخ الخارجى خال من الهواء والأكسجين ، اللازم لحياتنا ، لما كان هناك داع لتلك الوحوش ، التى حاولت قتلنا هنا .. كانت تكفى فتحة صغيرة فى الجدار ، لينفد الهواء ، وينهار الضغط ، ونلقى حتفنا فورًا ، دون قتال وإراقة دماء بلا داع ، وهذا يقودنا إلى السبب الثالث ، وهو أنه لم يكن من المفترض تواجد آدميين فى منطقة التماس ، فما الحاجة إلى صنع قاعة مجهَّزة لهم ، طوال ألف عام .

قالت الدكتورة (ولاء) :

ـ وماذا عن الوباء ؟! كل شعب (موك) غادر عالمه إلى الأبد ، فرارًا من وباء رهيب ، فماذا لو أن هذه القاعة قد أقيمت كلها للوقاية منه ؟!

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يدرس هذا الاحتمال الجديد ، و ...

وفجأة ، هتفت (نشوى) فى ارتياع :

ـ رباه ! انظروا !

استدار الكل مع هتافها ، ليحدِّقوا فى الشاشة الهولوجرافية الكبيرة ، التى تنقل صورة لما يحدث فى المنطقة (ص) ..

واتسعت العيون كلها فى ارتياع بلا حدود ..

فما رأوه أمامهم كان رهيبًا ..

رهيبًا بكل المقاييس ..

* * *

ثانية واحدة كان يمكن أن تُحدث فارقًا كبيرًا ، فى مصير المعركة كلها ..

ثانية واحدة ، استدارت فوهات أسلحة الرجال فيها نحو (أمجد صبحى) ، و(كونار) الذى ينتحل شخصيته ، يهتف بصوته وأسلوبه :

ـ أقتلوه .. اقتلوا العدو .

وانطلق عقل (أمجد) يعمل كالصاروخ ..

رفاقه سيعجزون حتمًا عن تمييز الموقف بدقة ..

إنهم أمام رجلين يتشابهان تمام الشبه ، وأحدهما يطالبهم بإطلاق النار على الآخر ..

فماذا ينبغى أن يفعلوا ؟!

لابد أن يتخذوا قرارهم فورًا ..

وبأقصى سرعة ..

طبيعة العمل ، الذى اعتادوا عليه طيلة عمرهم ، تحتم عليهم طاعة قيادتهم فورًا ..

ودون مناقشة ..

ثم إنهم ، كمحترفين ، لن يترددوا لحظة واحدة ..

لا بد إذن من وسيلة مباشرة وقوية وسريعة ..

وسيلة تجعلهم يحسمون أمرهم ..

ودون أدنى شك ..

دارت كل هذه الأفكار فى رأس (أمجد) ، فى جزء من الثانية ..

ذلك الجزء الذى استغرقته التفاتة فوهات المدافع الآلية إليه ، و ...

« إننى أستسلم .. »

نطقها (أمجد) فى هدوء شديد ، وهو يرفع ذراعيه فوق رأسه ..

وانعقد حاجبا (كونار) فى شدة ، وهو عاجز

عن استيعاب الموقف ، خاصة وأن فوهات المدافع قد توقَّفت كلها دفعة واحدة ، فارتسمت على شفتى (أمجد) ابتسامة هادئة ، وهو يضيف :

ـ وهذا يعنى أنه لا توجد مقاومة تبرِّر إطلاق النار كما اتفقنا .. أليس كذلك ؟!

ومع عبارته ، استوعب رفاقه الأمر فورًا ..

وعادت فوهات مدافعهم تدور ، نحو صدر (كونار) هذه المرة ..

وهتف (كونار) فى غضب :

ـ آه .. فهمت .

واستعاد وجهه ملامحه الأصلية البشعة ، وهو يرفع عينيه الناريتين إلى (أمجد) ، متابعًا :

ـ إنها عبارة متفق عليها .. أليس كذلك ؟!

خفض (أمجد) يديه ، وعقد ساعديه أمام صدره ، وهو يقول :

ـ بل عقول من الأرض ، يمكنها استيعاب الحقائق فى سرعة مناسبة أيها الوغد

هتف (كونار) فى غضب :

ـ وغد ؟!

وبضغطة زر سريعة على حزامه ، أحاطت بجسده هالة زرقاء باهتة ، وهو يتابع فى صرامة :

ـ هذا الوغد سيلقنكم درسًا فى القتال وأساليبه أيها الأرضيون .

لم يفهم (أمجد) ما الذى يعنيه ظهور هذه الهالة الزرقاء بالضبط ..

ولكنه اعتبرها دليلاً على مقاومة محتملة ..

لذا ، فقد هتف بكل قوته :

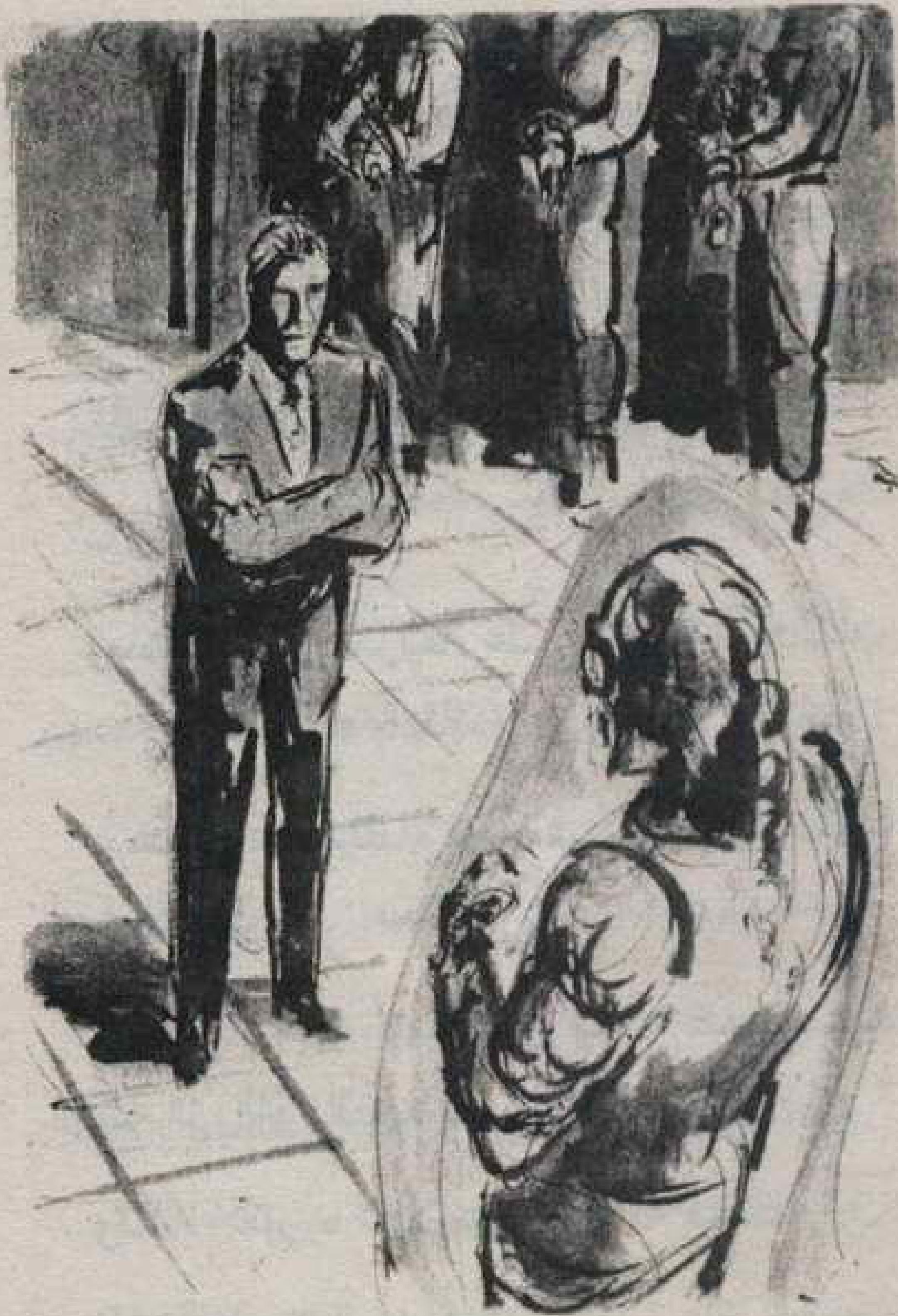

لم يفهم (أمجد) ما الذى يعنيه ظهور هذه الهالة الزرقاء بالضبط ..

ـ أطلقوا النار .

وقبل حتى أن تكتمل عبارته ، كان فريقه يضع الأمر موضع التنفيذ ..

وانطلقت الرصاصات كالمطر ..

انطلقت كلها نحو (كونار) ..

ثم ارتدّت فى عنف ..

تلك الهالة الزرقاء الباهتة ، التى تحيط بجسد (كونار) ، تلقّت كل الرصاصات ، ثم ردّتها بمنتهى العنف ..

وتناثرت الرصاصات فى الحجرة ، فى اتجاهات عشوائية مخيفة ..

ونسفت اثنتين من شاشات الرصد الداخلية ..

وأصابت ثلاثة من رفاق (أمجد) ، بإصابات مختلفة ..

وارتدت رصاصة منها بزاوية منخفضة ، وأصابت الكرة الملقاة فى الركن ، فتشقَّق جدارها ، على نحو جعل (أكرم) يهتف فى انفعال :

- رباه ! أمن المحتمل أن ..

قبل أن يتمَّ عبارته ، تفجَّر الجدار الشفاف السميك بغتة ..

ومع انفجاره ، شعر (أكرم) بفيض من الهواء يملأ صدره فى قوة ، وبآلام تنتشر فى كل شبر من جسده ، وبانقباض رهيب فى عضلاته ، وضوء مبهر يغشى بصره ، حتى إنه أطلق صرخة مكتومة ..

أما (أمجد) ورفاقه ، فقد اتسعت عيونهم فى ذهول تام ، عندما شاهدوا رئيس الجمهورية ، ووزير الدفاع ، والقائد الأعلى للمخابرات العلمية ،

ومدير مكتب وزير الدفاع ، و (أكرم) ، يتمددون أمامهم فى سرعة مدهشة ، كما لو أنهم ينبتون من ركن الحجرة ..

وخلال ثوان معدودة ، كان الخمسة يقفون وسط المقاتلين ..

وبكل دهشة ، هتف (أمجد) :

- سيادة الرئيس .. رباه ! هل ؟!

كان الرئيس - كالآخرين - يشعر بآلام رهيبة ، فى كل عضلة فى جسده ، وعلى الرغم من هذا ، فقد أشار إلى (كونار) ، هاتفًا :

- اقتلوا هذا الشىء .. اقتلوه فورًا يا (أمجد) .

أطلق (كونار) ضحكة ساخرة عالية ، وهتف :

- اقتلوه ؟! بهذه البساطة ؟! ألا تدرك أنهم قد حاولوا .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يضيف :

- وفشلوا .

وانتزع من حزامه كرة زرقاء ، وهو يكمل بغضب هادر :

- والآن حان دورى .

مدّ يده بالكرة نحوهم ، فراحت تتألّق بضوء أحمر قوى ، وكأنها تشحن نفسها بطاقة هائلة ، و (كونار) يضيف :

- وسأريكم كيف يمكننى سحقكم جميعًا .. وبضربة واحدة ..

قالها ، وكرة الموت تتألق بذلك الضوء أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

★ ★ ★

٩ - الغـزو ..

« دقيقة واحدة ، على لحظة التماس العظمى يا مولاى .. »

سرى الانفعال فى جسد الإمبراطور ، عندما نطق قائد جيوشه العبارة ، وتعلّق بصره ، كأبصار الجميع ، بذلك الجزء المتموّج من عالمه ، والذى بلغ تموّجه ذروته ، استعدادًا للحظة العظمى ..

وانطلقت كل انفعالاته وأفكاره دفعة واحدة ..

الحرب بين عالمى (موك) و(هور) قديمة قدم التاريخ ..

منذ عهود أجداده العظماء ، كان الاثنان يسعيان للسيطرة على الكون كله ..

تاريخهما الطويل يؤكّد أنهما أقدم حضارتين ،

فى كل المجرات المأهولة ..

والحرب بينهما لم تنقطع قط ..

ثم حدث كارثتهم ..

ووباء جنس (موك) ..

هو واثق من أن ما أصابهم كان بفعل (موك) ، كما أن كل ما أصاب (موك) كان بيد (هور) ..

المهم أن دورة جديدة قد بدأت ..

جنس (موك) حاول اللجوء إلى تكنيك جديد ، باختيار عالم آخر بعيد مجهول ..

عالم لا يمكن العبور إليه مباشرة ، من عالم (هور) ..

ولكنهم توصلّوا إليه ..

ووجدوا السبيل إلى منطقة العبور ..

إلى الأرض ..

وبعد ثوان أرضية معدودة ، سيصبح بإمكانهم السيطرة على الأرض ..

وبعدها لن يكون من العسير كشف بوّابة العبور ، إلى عالم (موك) الجديد ..

المهم أن ينجح غزو الأرض أوّلاً ..

وبأقصى سرعة ..

السؤال الذى يقلقه بشدة ، هو : هل نجح (كونار) ؟!

هل ستنفتح الفجوة بين العالمين ؟!

هل سيمكنهم العبور إلى الأرض ؟!

هل ؟!

وأمام عينَيه ، وعلى شاشة كبيرة ، تحمل التوقيت الأرضى ، بدأ العد التنازلى للحظة التماس العظمى ..

وعاد السؤال يلحّ فى استماتة ..

هل ستنجح مهمة (كونار) ؟!

هل ؟!

هل ؟!

* * *

لم يكن (كونار) يحتاج لأكثر من ضغطه واحدة ، على جانبى الكرة ، لتنطلق منها طاقة هائلة ، تكفى لسحق الكل بلا رحمة ..

رئيس الجمهورية ..

ووزير الدفاع ..

والقائد الأعلى ..

و (أكرم) ..

و (أمجد) ..

والباقين كلهم ..

ستسحقهم الطاقة فى لحظة واحدة ، وتحيلهم جميعًا إلى حفنة من الرماد ..

أو الرمال ..

ولكن فجأة ، انتصبت حفنة الرمال الحية ، التى سقطت مع الساعة ، عند ركن الحجرة ..

تلك الطاقة الهائلة ، التى تعتمد على تكنولوجيا شديدة التطوّر أيقظتها ..

وأشعلتها ..

وجعلتها تنهض ..

وتنقضّ ..

ودون مقدمات ، فوجئ (كونار) بسهم من الرمال يضرب يده ، بقوة مدهشة ، ويلقى الكرة بعيدًا ، ثم يدور فى الهواء ، وينقضّ على حزام الطاقة الذى يرتديه ..

وصرخ (كونار) ، بكل غضب الدنيا :

ـ لا .. لا ..

ومع نهاية صرخته ، تلاشت الهالة الزرقاء من حول جسده ..

ودون أن يضيع لحظة واحدة ، وثب (أمجد) يلتقط مدفع أحد رفاقه المصابين ، وهو يصرخ فى فريقه كله :

ـ أطلقوا النار ..

وانطلقت رصاصاتهم فى سخاء ..

وعنف ..

ودقة ..

وفى هذه المرة ، اخترقت الرصاصات جسد (كونار) ، قبل أن يتخذ أى إجراء وقائى جديد ، وانتزعته من مكانه ، لتدفعه نحو الجدار فى عنف ، قبل أن يسقط أرضًا ، فى ألم وذهول ..

ومن مواضع شتى فى جسده ، تدفَّق ذلك السائل الأخضر اللامع ..

وفى اللحظة نفسها ، ارتفع صوت آلى ، يقول :

ـ منتصف الليل تمامًا .. الأقمار الصناعية بدأت عملها .

رفع (كونار) عينيه المحتضرتين إلى شاشة الرصد ، التى تنقل صورة المنطقة (ص) ، ورأى المؤشرات تشير إلى انطلاق موجة الذبذبة المضادة المركزة ..

ومفعول الـ (ميجالون) يتوقَّف دفعة واحدة ..

ثم نقلت الشاشة صوت فرقعة قوية ..

وتموَّجت بقعة على ارتفاع عشرين مترًا من سطح الرمال ..

ثم انفتحت فيها بغتة فجوة هائلة ..

وعلى الرغم من أنه يلفظ أنفاسه الأخيرة ، أطلق (كونار) ضحكة وحشية ظافرة ساخرة ، وأشار بيده إلى الشاشة ، هاتفًا :

- إننى أموت ، ولكن مهمتى نجحت .

عاد يقهقه مرة أخرى ، بتلك الضحكة الظافرة المحتضرة ، والكل يحدقون فى شاشة الرصد الكبرى فى ذهول ، وقد أدركوا أنهم يشاهدون بأعينهم بداية مخيفة ..

بداية لغزو عالم كامل ..

عالم الأرض .

* * *

انتهى الجزء الثالث بحمد الله

ويليه الجزء الرابع والأخير بإذن الله

(سادة الكون)

رقم الإيداع : ٣٢١٥

نقطة التماس

- ما مصير (نور) ورفاقه ، بعد أن ابتلعتهم الرمال الحية ؟!
- كيف يمكن لمقاتل العالم الآخر أن يضمن وصول قوات عالمه إلى الأرض ؟!
- ترى من ينتصر فى المعركة هذه المرة ، ومن يربح حرب (نقطة التماس) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور) وفريقه .. من أجل الأرض ..

العدد القادم

د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

133

الثمن فى مصر ٢٠٠

ومايعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

مطابع